

العلاج الإسلامي للحالات الفردية

أ.د. محمد سلامة غباري

مقدمة

التربية الإسلامية هي تنشئة الطفل وتكوينه إنساناً متكاملًا من جميع نواحيه المختلفة ، من الناحية الجسمية والعقلية والروحية والأخلاقية في ضوء المبادئ التي جاء بها الإسلام وفي ضوء وأساليب وطرق التربية التي يَبْنِيهَا ^(١) .

من هذا التعريف للتربية الإسلامية وغيره من التعريفات الأخرى، نرى أن الإسلام يقدم لنا منهجًا تربويًا متكاملًا تجدد فيه الإنسانية علاجًا شافيًا لمشكلاتها ينتشلها من طريق البؤس والته والشفاء، وينتقل بها إلى طريق العزة والكرامة والمحبة والهناء ، فهو يهدف إلى تربية النشء على الإيمان بالله ومراقبته والخضوع له وحده ، وهو الذي يربي الإنسان على أن يُحَكِّمَ شرعية الله في جميع أعماله وتصرفاته ، ثم لا يجد حرجًا فيما حكم الله ورسوله ، بل ينقاد مطيعًا لأمر الله ورسوله ، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

ولما كان الإسلام هو المنهج الرباني المتكامل المواتي لفطرة الإنسان ، والذي أنزله الله لتربية وتنمية الشخصية الإنسانية حتى تصبح شخصية متزنة كاملة ، لتصبح خير نموذج على الأرض ، يحقق العدالة الإلهية في المجتمع الإسلامي ، وذلك عن طريق التربية الإسلامية التي تغرس في الإنسان العزة والكرامة ، بل الاستماتة في سبيلها ، مهما أحاطت به الشدائد أو أبعدته عنها المغريات ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

والأخصائي الاجتماعي الذي يسعى لتطبيق العلاج الإسلامي مع عملائه فإنه يهدف إلى تعديل شخصياتهم وتنميتها عن طريق إكسابهم خبرات جديدة من خلال التربية الإسلامية تساعدهم على تعديل سلوكهم وتقويم انحرافهم ، وانتشالهم من الهوان

(١) مقدار بالجن « التربية الأخلاقية الإسلامية » ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، (١٩٧٣) ، (ص ٥٤) .

والضياح بعد أن ضيعتهم فلسفات التربية الغربية التي كان من نتيجتها ما نسمعه من جرائم الأحداث وتعاطيهم المخدرات ومن تدخين جماعي في معسكرات الأطفال في بعض دول أوروبا ومقاطعات أمريكا ، ومن جرائم جنسية يندي لها الجبين .

لقد عقدت مقارنات مفيدة بين خصائص التربية الغربية وأهدافها وأساليبها ، وبين ما اتسمت به التربية الإسلامية من خصائص وأساليب وأهداف ، فاتضح أن التربية الإسلامية هي الطريق الوحيد للخلاص من هذا الضياح ، وهي المنقذ للطفولة الضائعة والبشرية المتردية .

والخدمة الاجتماعية عندما خذلتها وسائل العلاج التقليدية بأساليبها المستوردة من المجتمعات الغربية ، بدأت تبحث لنفسها عن أساليب مؤثرة بالعلاج الإسلامي ، الذي يعتمد على التربية الإسلامية ، فهي الوسيلة الوحيدة القادرة على إعادة التوازن إلى المجتمع الذي اضطرب واهتز ؛ ولذلك اتجهت الخدمة الاجتماعية للعلاج الإسلامي لتنمي فكر الإنسان وتنظم سلوكه وتعده ، وتحرك في نفسه الأحاسيس والمشاعر ، وتغرس العواطف الجديرة بأن تدفعه إلى السلوك الذي نظمت الشريعة الإسلامية قواعده وضوابطه ، وعن طريقه تصل إلى تنمية شخصية الإنسان من جميع جوانبها في انسجام وتكامل .

والخدمة الاجتماعية عندما تطبق العلاج الإسلامي لعلاج المشكلات الاجتماعية ، فإنها بذلك تستبدل العلاج الاجتماعي الغربي الذي لا يناسب مجتمعاتنا الإسلامية بالعلاج الإسلامي الشرقي النابع من الدين الإسلامي معتمدة في ذلك على مصدرين مهمين هما القرآن والسنة وهما مصدر الدين الإسلامي نفسه .

وحاولت الخدمة الاجتماعية أن تصنف أساليب العلاج الإسلامي إلى مجموعة أساليب علاجية مناسبة لشخصية الإنسان بمكوناتها البنائية والوظيفية ، نجملها فيما يلي :

- ١ - العلاج الإسلامي بتنمية العقيدة الدينية .
- ٢ - العلاج الإسلامي بتنمية القيم الخلقية .
- ٣ - العلاج الإسلامي بالتنمية العقلية .
- ٤ - العلاج الإسلامي بتنمية العلاقات والقيم الاجتماعية .
- ٥ - العلاج الإسلامي بالتنمية النفسية .
- ٦ - العلاج الإسلامي بالتنمية الجسمية .

وفي الصفحات التالية يوضح الباحث بالتفصيل كل نوع من هذه الأنواع بأساليبه الفرعية المختلفة .

العلاج الإسلامي بتنمية العقيدة الدينية

يقصد بتنمية العقيدة التسامي بروح الإنسان إلى الأفق الأعلى من خلال القرآن والتوحيد والفقه والتفسير والسيرة النبوية والثقافة الإسلامية حتى تربي الأجيال على الإسلام ، وعلى تحقيق العبودية لله - جل جلاله - بكل ما في هذه الغاية من معنى ومدلول ، وبكل ما تؤدي إليه من نتائج في الحياة ، والعقيدة ، والعقل ، والتفكير ، والعبودية لله هي التلقي من الله وحده في أمر الدنيا والآخرة ، ثم هي الصلة الدائمة بالله في هذا كله . وهذه الصلة في الحقيقة هي المنهج الإسلامي كله ، تتفرع منه جميع التفرعات وتعود في النهاية كلها إليه والعبودية لله والصلة الدائمة به تتم عن طريق العبادة ، والعبادة لا تقتصر على اللحظات القصيرة التي تشغلها مناسك التعبد ، وما كان هذا هو المقصد من الآية الكريمة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وإلا فما قيمة لحظات عابرة في صفحة النفس وفي صفحة الكون ، لا تترك لها أثراً وتضيع في الفضاء ؟ وإنما قيمتها أن تكون منهجاً حياً ، يشمل كل قيمتها أن تكون خطة سلوك وخطة عمل وخطة فكر وخطة شعور ، قائمة كلها على منهج واضح ، يتبين فيه - في كل لحظة - ما ينبغي وما لا ينبغي أن يكون ^(١) . وفيما يلي أساليب تنمية العقيدة الإسلامي .

١ - العلاج الإسلامي بالقرآن الكريم :

العلاج بالقرآن غايته القريبة إتقان تلاوته ، وحسن فهمه ، وتطبيق تعاليمه ، وهذا فيه العبودية والطاعة لله ، والاهتداء بكلامه ، والخوف منه وتنفيذ أوامره ، والخشوع له . ويقول الإمام الفخر الرازي ^(٢) : « اعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية ، وشفاء أيضاً من الأمراض الجسمية ، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر ؛ وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان : (الاعتقادات الباطلة ، والعادات المذمومة) ... وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من المفاصد والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال الحمودة ، فكان القرآن شفاء من هذا النوع من

(١) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، (ص ٣٨) .

(٢) تفسير الفخر الرازي ، (٣٤٢١) .

المرض . فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحية » . ويجب أن نوضح هنا أنه ليس معنى أن القرآن شفاء لهذه الأمراض أن قراءته على المريض أو تعليق المكتوب من الآيات عليه ، وما شابه ذلك شفاء أيضًا كما يفهم ذلك بعض الجاهل وإنما معنى الشفاء أنه جاء فيه من المبادئ التي تكفي لوقاية الإنسان من تلك الأمراض إذا التزم بها الناس ظاهرًا وباطنًا ^(١) .

أي أن دروس القرآن لو حققت غاياتها لكانت من أفضل الوسائل لتحقيق الهدف الأسمى ^(٢) للعلاج الإسلامي .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي بالقرآن على عملائه يستطيع أن يحبب إليهم دراسة القرآن ، ويساعدهم على فهمه ، عن طريق الأنشطة والبرامج الدينية التي يستعين فيها بمن يختارهم من رجال الدين المتخصصين المفقهين القادرين على أداء هذه المهمة الجليلة ، على أن يراعي في هذه الأنشطة مناسبتها لأعمارهم ومستوياتهم العقلية ، بحيث يتم ذلك بصورة سهلة مبسطة وبطريقة جذابة شيقة ، حيث إن العلاج بالقرآن أنسب أساليب العلاج الإسلامي للمشكلات الاجتماعية ، وبذلك يهتدي العملاء إلى الطريق المستقيم ، فيعبدون الله ويطيعونه ، ويهتدون بكلامه ، ويخافون منه ، ويخشعون له ، وينفذون أوامره ، وبعد ذلك يتم علاج مشكلاتهم ويقوم سلوكهم ، ويعتدل تفكيرهم عندما يسمعون قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١] « وسيعرفون أن ارتكاب الفواحش ، وهي الجرائم الاجتماعية من شأنه أن يثير الاضطراب ، ويزيد الحقد في العلاقات بين الأفراد ، والاضطراب والحقد في العلاقات الاجتماعية من أشد العوامل فتكًا في تقويض المجتمع » ^(٣) .

٢ - العلاج الإسلامي باتباع الرسول ﷺ :

أما تنمية العقيدة باتباع الرسول ﷺ فهي التي تعلم الأطفال القيام بالعبادات والمعاملات وكل شؤون الحياة على هدي هذا الرسول الذي أرسله ربه ليطاع بإذن الله ، فدروس الحديث والسيرة ، غايتها اتباع الرسول ﷺ ؛ لأنه مبين للقرآن ولتفاصيل شريعة الله ﷻ .

(١) د . مقداد بالجن ، التربية الإسلامية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة سنة (١٩٧٣ م) ، (ص ١١١) .

(٢) عبد الرحمن الحلاوي ، أصول التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، (ص ١١٥) .

(٣) د . محمد البهي ، نحو القرآن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط . ٣ (١٩٧٢ م) ، (ص ١١٣) .

لقد كان رسول الله ﷺ أقدر الناس على تربية العواطف الربانية والاعتماد عليها عند الضرورة ، فقد كان بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس ، ترجمة عملية بشرية حية لحقائق القرن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته ، ولذلك بعثه الله ليكون قدوة للناس يحقق المنهج التربوي الإسلامي : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب : ٢١] . والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي على عملاء المؤسسات الاجتماعية يحاول تخييرهم وعلاجهم من خلال أنشطة دينية تحتوي على دروس الحديث والسيرة النبوية التي يعدها لهم مستعيناً في ذلك بعالم مسلم يساعده في تصميم وتنفيذ تلك الأنشطة والبرامج الدينية التي تمكن الأحداث من فهم السيرة النبوية ودراسة وفهم الأحاديث سواء كان ذلك من خلال قصة أو تمثيلية تعد خصيصاً لذلك ، أو من خلال زيارات للمساجد في مواعيد الصلاة والدروس الدينية وبذلك يتيح لهم الفرصة لاستماع تلك الدروس والأحاديث وهو معهم يشجعهم ويعاونهم ويسلط لهم بعض المعاني التي يصعب عليهم فهمها ، وبذلك يدعم حب الرسول في قلوبهم فيهتمون به ويتبعون تربيته بعد أن أحبوا الله واهتدوا بقرآنه .

٣ - العلاج الإسلامي بدروس التوحيد :

بعد أن يحقق العلاج الإسلامي باتباع الرسول أهدافه ، يأتي دور تنمية العقيدة الإسلامية عن طريق دروس التوحيد ، وهي تبدأ من توضيح الهدف الأسمى للتربية الإسلامية ، أي من توضيح معنى الألوهية والربوبية ، ومعنى عبودية الإنسان لله وحده ، وما هي الصفات الإلهية التي لا يجوز إسنادها لغير الله ؟

ومن خلال دروس التوحيد تنمي العقيدة الإسلامية التي تتغلغل إلى أعماق الحدث وترتبط كل الارتباط بكيانه وتكون مقوماً ضرورياً بطبيعته ، وليس في مقدوره أن ينفصل بفكره ووجوده عن رباطها الوثيق وصلتها العميقة بالنفس ، وعندئذ يستشعر المرء في نفسه من الخضوع والإذعان لأوامرها والوقوع تحت تأثيرها بمقدار ما يتجلى له من حقيقتها وما ينكشف له من معانيها ، وأيضاً بمقدار ما ينطبع عنها في ذهنه من آثار ، وما يكون لها في وجدانه من انفصال ، ثم ما يقول لها في قلبه في قداسة واعتبار ^(١) . ولكي تنجح دروس التوحيد في تنمية العقيدة الإسلامية لعملاء مؤسسات الخدمة

(١) دكتور محمد بيطار ، العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط . ٣ ، (١٩٧٢ م) .

الاجتماعية فلا بد أولاً أن يستخدم الأخصائي الاجتماعي كل قدراته وأساليبه المهنية في تكوين الرغبة في الاعتقاد ، والامتناع بكل جانب من جوانب العقيدة ؛ لأن العملاء لن يؤثر فيهم ذكر أدلة الاعتقاد قبل أن تتكون الرغبة لديهم ، الرغبة في الاعتقاد والامتناع الكامل بكل جوانبه .

ذلك أن من لا يرغب أولاً في الاعتقاد لا يعتقد ولو ذكرت له جميع الأدلة العقلية والعملية ؛ ولهذا لما تكلم الله تعالى عن هؤلاء الذين لا يريدون أن يؤمنوا إلا لعدم وجود الأدلة وإنما لعدم رغبتهم في الإيمان ^(١) ، فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ [الأنعام : ١١١] ، كما قال ﷺ : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ [الأنعام : ٢٥] .

والعقيدة الإسلامية هي إخلاص العبودية لله وحده ، فهي تُعرف الإنسان بكل مقاصد العبادة والسلوك في الحياة ، وتُعرفه بما يجب أن يحذره من كل مظاهر الشرك وعقائده .

هذا الجانب الاعتقادي من دروس الدين الإسلامي ، هو أهم وأول ما يجب الاهتمام به ، على أن تكون ثمراته ، ونتائج فهمه مطبقة على جميع جوانب الحياة ، فيعرف العميل أنه يتعلم القرآن ويعظمه لأنه كلام الله ، ووسيلة لمناجاته ومعرفته والخضوع له وتحقيق أوامره .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي لتقويم السلوك المنحرف عن طريق تنمية العقيدة الدينية يستعين بأهل الخبرة والمتفهمين في الدين ، ليقدموا للعملاء دروس التوحيد اللازمة لتنمية إيمانهم ، والأخصائي دائماً معهم في جميع هذه الأنشطة الدينية حتى يشجعهم على استمرار الاستفادة منها ويسيطر لهم ما يصعب عليهم فهمه وبذلك يستفيدون من هذه الفرص التي تساعد على تنمية شخصياتهم وتقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم .

٤ - العلاج الإسلامي عن طريق دروس الفقه :

أما دروس الفقه في أسلوب آخر من أساليب تنمية العقيدة الدينية ، فهي التي تربي السلوك الإسلامي الفردي والاجتماعي ، بما تقدمه للعملاء من قواعد تفصيلية ، مستقاة من القرآن والسنة ؛ لبيان أساليب العبادة والسلوك التي يرضاها الله في جميع شؤون

(١) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصدر سابق ، (ص ١٩١) .

الحياة ، وليبان نظم العلاقات الاجتماعية ، كما يأمرنا الله أن نحققها في كل اتصالاتنا بالآخرين ، فيجب ربطها دائماً بهدفها الأسمى « طاعة الله » والاهتداء بهدي رسوله ، وتحقيق الخضوع بالعبودية لله كما يريد الله .

ولكي تحقق دروس الفقه أهدافها العلاجية المطلوبة ، فإن الأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي لعلاج المشكلات الاجتماعية فإنه يختار لهم من يقدم لهم دروس الفقه ويوضحها ويبسطها لهم ويوصلها إليهم بطريقة محبة حتى يستفيدون منها أحسن استفادة ممكنة ، وعندما يختار أحد المتخصصين في دروس الفقه فإنه يخطط ويرسم معه أحسن البرامج وأنسب الأنشطة الدينية التي توصل لهم المطلوب من دروس الفقه بصورة سهلة مبسطة .

والخدمة الاجتماعية عندما تطبق العلاج الإسلامي مع عملائها فإنها تسعى إلى هدفين متكاملين في آن واحد : أحدهما على المدى القريب وهو علاج المشكلات الاجتماعية ، والهدف الثاني على المدى الأبعد وهو بناء الجيل المسلم الذي يبنى حياته على تحقيق عبادة الله وهو الهدف الأسمى للتربية الإسلامية .

والأخصائي الاجتماعي عندما يطبق العلاج الإسلامي على عملاء مؤسسات الخدمة الاجتماعية فإنه يتعاون معهم في وضع الأنشطة والبرامج المختلفة التي تساعد في ذلك .

٥ - العلاج الإسلامي بالتنمية الخلقية :

والتنمية الخلقية : هي التدريب على السلوك الرشيد ، وتكوين الخلق الحميد ، وهي المصباح الكاشف لمسالك الرشد والغي ، وهي المعيار الذي توزن به نوايا العاملين وبواعثهم ، وهي التوجيه المستمر لأعمال الإنسان على طريق الاستقامة .

والتنمية الخلقية كما جاءت في الإسلام لها هدفان أحدهما على المدى القريب والآخر على المدى البعيد .

أما الهدف القريب فهو تكوين الإنسان الخير الذي حدد الرسول ﷺ شخصيته بأنه يصبح « مفاتيح للخير مغاليق للشر » ^(١) يتميز بالانفتاح للخير عن حب للخير والإسراع إليه عن رغبة فيه والاجتناب للمعاصي عن كره لهما ، لا اتباعاً للعادة ولا خوفاً من عقاب القوانين أو تغيير المجتمع ، يحبون الفضيلة ويؤثرون مصلحة غيرهم على أنفسهم

(١) المقاصد الحسنة ، (ص ١٢٩) ، رواه ابن ماجه والطيالسي .

كما جاء في قوله تعالى : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۗ ﴾ [الحشر: ٩] ، ثم إلى جانب هذه الصفات الخيرة النيرة يتسابقون في عمل الخيرات ﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۗ ﴾ [المؤمنون: ٦١] .

أما الغاية البعيدة للتنمية الخلقية كما أَرادها الإسلام فهي الوصول بالإنسانية إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وقد أكد الرسول ﷺ صراحةً أن حسن الأخلاق طريق سعادة الإنسان وسوء الأخلاق طريق شقائه . فقال ﷺ : « من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاوته سوء الخلق » (١) .

تلك حقيقة واضحة إذا أمعنا النظر في حكمة الأخلاق الإسلامية والقيم التي تحملها ، وكذلك تجدها واضحة وصريحة في كثير من النصوص القرآنية والسنة النبوية ، لما لها من قيم صحية واقتصادية وإنسانية وإبداعية ومادية ومعنوية واجتماعية . الأمر الذي يجعلني أقول بكل تأكيد بأنه لا يمكن تحقيق السعادة بدون اتخاذ هذه الأخلاق طريقاً ومنهجاً في الحياة الفردية والاجتماعية معاً (٢) .

ويعلل الإسلام لماذا كانت الأخلاق الحسنة طريق السعادة والأخلاق السيئة طريق الشقاوة بأن مبادئ الأخلاق الحسنة تحمل في طياتها أسباب السعادة وسوء الأخلاق تحمل أسباب الشقاوة فمن أسباب السعادة ، وجود الصحة الكاملة من الناحية النفسية والجسمية ، وانعدام هذه الصحة يؤدي إلى التعاسة والشقاوة ، والإسلام قد قرر ذلك ، وبين العلاقة بين الانحراف الأخلاقي والأمراض النفسية ثم بين الأمراض الجسمية بشكل واضح وصريح ، فقال الرسول ﷺ : « من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه » (٣) .

ولذلك فإن العلاج الإسلامي الشافي لكل هذه الأمراض جاء واضحاً صريحاً في القرآن الكريم بمبادئه العظيمة التي لا شفاء بدونها ، فقال ﷺ : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۗ ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

إن روح الإسلام هي الأخلاق الفاضلة الكاملة التي تستدعي من المسلم أن يخاف

(١) منتخب كنز العمال في هامش مسند الإمام أحمد (١٣٢١) ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، (١٩٦٩ م) .

(٢) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، مقداد بالجن ، مصدر سابق ، (ص ٣٠٧ ، ٣٥١) .

(٣) منتخب كنز العمال في هامش مسند الإمام أحمد ، (٥٨/١) .

الله في السر والعلانية ، في ظل عمل يفكر فيه ، أو يقدم عليه ، ويتقي الله حق تقاته ، ويفكر دائماً في النواحي الإنسانية ، والأغراض النبيلة الإسلامية ويتبني كل عمل إرضاء لله ، ويدعو إلى الخير ، ويستنكر كل شر ، ويعين أخاه المسلم ، ويتعاون معه على البر والتقوى ، ولا يتعاون على الإثم والعدوان ، ويخلص في أفعاله وأقواله الإخلاص كله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

وهكذا نرى أن الإسلام يوجب علينا تنمية الخلق ، وحسن السلوك ، وتهذيب الإرادة ، وتمييز الغث من الثمين ، والحسن من القبيح ، واختيار الفضيلة وتجنب الرذيلة ، حتى يربي رجالاً كريمي الأخلاق ، أقوياء العزيمة ، مهذبين في أقوالهم وأفعالهم ، نبلاء في تصرفاتهم وخلقهم ، صفاتهم الحكمة والفضيلة ، والأدب والإخلاص والطهارة .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي لعلاج الانحرافات الخلقية للعملاء الذين انحرفت أخلاقهم ، وفسدت طباعهم . يحاول إصلاح ما فسد ، وتقويم ما انحرف عن طريق التنمية الخلقية التي تسعى إلى تثبيت القيم الأخلاقية الأصلية التي توارثتها الأمة الإسلامية جيلاً بعد جيل ، مهتديةً بكتاب ربها وسنة نبيها ، الذي بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق ، وإزالة ما تراكم عليها من رواسب عصور التخلف ، وما دخل عليها من تقليد الأمم الأخرى قديماً وحديثاً ، فالسماة والإيثار ، والحياء والصبر على المكاره ، والثبات في الشدائد ، والتعاون على البر والتقوى ، والدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الجار ، وإكرام الضعيف الملهوف ، والصدق في القول ، والأمانة في العمل ، والعدل في الحكم ، الشهادة بالحق ، ورحمة الصغير ، وتقدير الكبير ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وخفض الجناح ، وعزة النفس ، والقصد والاعتدال في كل شيء ... إلى غير ذلك من فضائلنا العظيمة الأصلية التي يجب أن تسود وتبقى وتعمق جذورها وتمتد فروعها ^(١)

ويرى المؤلف أن التنمية الأخلاقية كأهم أسلوب من أساليب العلاج الإسلامي يمكن تحقيقها عن طريق عدة أساليب فرعية يوضحها كما يلي :

(١) يوسف القرضاوي ، الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط . ٣ (١٩٧٧ م) ، (ص ٤٠٧) .

١ - التنمية الخلقية بتكون العادة :

يتكون الخلق بالممارسة والاعتiad وبكثرة تكرار الفعل والمواظبة عليه . ولعل ذلك من الملاحظ عند هؤلاء الذين عرفوا الخلق بأنه (عادة الإرادة) فعندما يراد تحويل الإنسان من خلق ذميم إلى خلق آخر حميد ، أو يراد تكوين خلق معين له لم يكن موجوداً من قبل ، يحمل الإنسان على تكرار هذا العمل وفعله باستمرار ، مع استعمال وسائل الإغراء والترغيب ، التي من شأنها أن تحبب إليه إتيان هذا الفعل الحميد والإقبال على ممارسته برغبة صادقة وميل أكيد واستخدام وسائل التنفير من ضده ، بحيث تصير نفرته والمداومة على هذا الفعل الحميد ، يصبح إتيانه وممارسته عادةً لازمةً ، وطبعاً دائماً ، أي يصير خلقاً له ^(١) ويصدر عنه تلقائياً من غير أن يسبقه تفكير وتقدير بحيث يكون انطباعاً من انطباعات النفس وحالاتها ، وتحملها على الفعل من غير حاجة إلى تأمل أو روية ^(٢) .

وقد بدأ الإسلام - وهو ينشأ في الجاهلية ، بإزالة العادات السيئة التي وجدها سائدة في البيئة العربية . واتخذ لذلك إحدى وسيلتين : إما القطع الحاسم الفاصل ، وإما التدرج البطيء ، حسب نوع العادة التي يعالجها ، وطريقة تمكنها من النفس ^(٣) .

فالقطع الحاسم استخدمه الإسلام بالنسبة للعادات التي تتصل بالعقيدة والارتباط المباشر بالله مثل الشرك بكل عاداته ؛ لأنه لا يمكن أن يستقيم إيمان وشرك ، وعبادة لله وعبادة لغيره من الكائنات ، وكذلك بالنسبة لوأد البنات أو بعض العادات النفسية من كذب وغيبة ونميمة وغمز ولز وكبر ... إلخ من مثل هذه الأمور التي تشبه الأورام الخبيثة التي لا علاج إلا بالحسم والبت من أول لحظة ، بضربة قاطعة حاسمة .

أما وسيلة التدرج البطيء فقد استخدمها الإسلام مع بعض العادات الاجتماعية التي لم تكن عادات فردية بقدر ما كانت عادات منتشرة في المجتمع ، ومن أمثلتها : الخمر والزنا والميسر والرق والربا ... إلخ وكلها عادات لا يمكن منعها دفعة واحدة ولا تستطيع أي نفس أن تحسم موقفها منها في لحظة .

أما بذر العادات الصالحة ، فله كذلك عدة طرق وعدة مراحل ، فمثلاً بالنسبة للعادات النفسية كالصدق والوفاء ، والمحبة والعطف ، والبذل والإيثار ، فقد لجأ الإسلام في ذلك

(١) العقيدة والأخلاق ، مصدر سابق ، (ص ٢٠٩) .

(٢) العقيدة والأخلاق ، مصدر سابق ، (ص ٢٠٩) .

(٣) منهج التربية ، مصدر سابق ، (ص ٢٤٧) .

أولاً إلى إثارة الوجدان وإنشاء الرغبة في العمل ، ثم يحول الرغبة إلى عمل واقعي ذي صورة محددة واضحة السمات ، فيلتقي الظاهر والباطن ويتطابقان ويتكافآن ؛ رغبة وسلوكاً ، ثم يحول الرغبة والعمل من مسألة فردية إلى رباط اجتماعي ^(١) .

والأخصائي الاجتماعي الذي يستخدم العلاج الإسلامي في علاج المشكلات الاجتماعية لعملاء الخدمة الاجتماعية ، يسعى جاهداً لتنمية أخلاقهم عن طريق مساعدتهم على ممارسة الفضائل الأخلاقية بصفة مستمرة ، بعد أن يستثير مشاعرهم ويحرك وجدانهم ويوجد الرغبة لديهم ، ثم يحول هذه الرغبة إلى عمل يمارسونه فعلاً عن طريق أنشطة وبرامج يصممها خصيصاً لذلك .

٢ - التنمية الخلقية عن طريق القدوة الحسنة :

إن القدوة الحسنة تعتبر من الأساليب المهمة للتنمية الخلقية التي تهدف إلى إزالة الخلق السيئ ^(٢) ويرى الإمام الغزالي أن تغيير الخلق ممكن ويقول ذلك تعليقاً على قوله عليه الصلاة والسلام : « حسنوا أخلاقكم » لو لم يكن ممكناً لما أمرنا الرسول ﷺ به ، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ ، والترغيب والترهيب ، فإن الأفعال نتائج الأخلاق .
والتنمية الخلقية بالقدوة الحسنة هي التي غرست أخلاق الإسلام في النفوس عندما اقتدوا برسول الله ﷺ : « وكم فشل فلاسفة ومفكرون تخيلوا مناهج للتربية وخططوا مدناً فاضلة ، فبقيت مناهجهم ومدنهم خيالاً هائماً ، وتصورا عقلياً لم يتحول إلى واقع أبداً ... وحين أنزل الله كتابه لم يرد أن يكون نظرية تحفظ ، وإنما أراد أن يكون سلوكاً يترجم في واقع الحياة فاختر من بين الناس محمداً ﷺ ليكون السراج المنير والمثل الأعلى والقدوة العظمى للإنسانية كلها » ^(٣) .

لقد اختار الله الرسول ﷺ من علم كما قال سبحانه : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] واختاره بعد أن رباه وأدبه : « أدبني ربي وأحسن تأديبي » ^(٤) ؛ ولذلك كانت حياته مشرقة مضيئة لا يخفى منها شيء حتى يكون الاقتداء بها على أتم وجه وأكمله ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۖ ﴾

(١) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، (ص ٢٥٠) .

(٢) زكي مبارك « الأخلاق عند الغزالي » ، المكتبة الرحمانية بمصر ، بدون ، (ص ١٦٥) .

(٣) د . عبد الفتاح عاشور ، « منهج القرآن في تربية المجتمع » ، مكتبة الخانجي بمصر ، (١٩٧٩م) ، (ص ٢٣٥) .

(٤) رواه ابن السمعاني في آداب الإسلام عن ابن مسعود ؓ .

وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴿ [الأحزاب: ٢١] .

إن أسلوب التنمية الخلقية بالقدوة الحسنة كأسلوب مهم من أساليب العلاج الإسلامي هو الذي عالج أمة كادت تموت فأحيها رسول الله ﷺ بروح القرآن فإذا هي تبعث من جديد تنفضى غبار الزمن وتصنع الحياة والأحياء على خير وأجمل طريق وأروع مسلك ، وصدق قوله في رسوله الحبيب : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ مَنْ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢] .

« لقد زكاهم هذا الرسول وطهر أخلاقهم وسلوكهم وعقائدهم ورفعهم من الوهدة الهابطة والضياع القاتل إلى القمة العالية ، فإذا الأمة الأمية رائدة وقائدة تفيض حكمة نابعة من الكتاب الخالد ... الذي بعثها وأحيها وقد كانوا من قبل في ضلال مبين » (١) .

هذا العلاج الإسلامي الذي تحاول الخدمة الاجتماعية تطبيقه في علاج المشكلات الاجتماعية لعملاء الخدمة الاجتماعية بهدف تعديل سلوكهم وتقويم انحرافهم عن طريق التنمية الخلقية بتكوين العادات الخلقية الصالحة تارة بالقدوة الحسنة وتارة بالعادة ، لا يستطيع تطبيقه إلا الأخصائي الاجتماعي الذي يعرف الآثار والأسس التربوية للقدوة الحسنة وعندئذ يعرف جيداً أن حياة الأخصائي الاجتماعي المسلم . الذي يطبق العلاج الإسلامي لحل مشكلات المجتمع - هي حياة الداعية إلى الله بحيث يكون قدوة أمام عملائه فيتحدى بأفضل الأخلاق ، يستلهمها من القرآن ومن سيرة الرسول ﷺ ويصبر على تطبيقها والتحلي بها .

٣ - التنمية الخلقية بالترغيب والترهيب :

إن الترغيب والترهيب كأحد أساليب التنمية الخلقية قد لجأت إليه كل الأديان السماوية في دعوتها ، فرغبت بالثواب بالجنة ، ورهبت وخوفت من العقاب بالنار والخوف من العقاب المؤجل ، والطمع في الثواب المؤجل أرقى من الخوف والطمع في الأشياء العاجلة ؛ لأنه يعتمد على مبادئ عقلية وفضائل نفسية وخصائص إنسانية ، فالعقل لا يبيع الحاضر بالغائب ، والمصلحة العاجلة بالمصلحة الآجلة إلا إذا فكر في عواقب الأمور ، وكانت له عقيدة ثابتة في العاقبة ، وكانت ثقته بما عند الله أشد من ثقته بما في يده وكان له من قوة الضمير ، وضبط النفس ما يدفع عنه منتظر

(١) منهج القرآن في تربية المجتمع ، مصدر سابق ، (ص ٢٤٦) .

المغريات ^(١) ، لذلك لا تجد خلقاً حميداً إلا وحث عليه القرآن ، ولا تلقى خلقاً سيئاً إلا ونهى عنه ، وفي كل ذلك بيني قاعدته الكبرى التي قام عليها كل أوامره ونواهيه ، ألا وهي الإيمان بالله واليوم الآخر ، وبين الجنات والخلود ، والأمان والرضا ، والسلام والنعيم ، والتعاسة في الآخرة ، والنار الموقدة ، والعذاب والهوان ، والشقاء في الدنيا ، وبين هذا وذاك يضرب القرآن على أوتار القلب المشدود من هنا بالخوف ومن هناك بالرجاء ، فتصدر عنها أنغاماً متناسقة ليس فيها نغمة نشاز ، إنما هو الأحكام في كل تصرف ، والارتباط بكل خير ، والابتعاد عن كل شر ^(٢) .

إن التنمية الخلقية عن طريق الترغيب والترهيب قد تنجح في تعديل الأخلاق الفاسدة وتغييرها ، إلا أنها تعتبر أضعف أنواع التربية أو أبعداها عن القيم الإنسانية ، وفي الوقت نفسه هي أضعف أنواع العلاج أثراً ، وأسرعها تقلباً ، وأقلها ثباتاً .

ولذلك فإن هذا الأسلوب العلاجي لا يستخدم إلا بعد محاولات متكررة بشتى الأساليب الأخرى ، وعندئذ يصبح هذا الأسلوب مناسباً لتلك الفئة التي لم تستجب لأساليب التنمية الخلقية الأخرى ؛ لأن هناك « درجات متفاوتة لدرجات من الناس ؛ فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه ، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف ، ومنهم من لا يردعه إلا الغضب الجاهر الصريح ، ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ ، ومنهم من لا بد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه ، ومنهم بعد ذلك فريق لا بد أن يحس لدع العقوبة على جسمه لكي يستقيم » ^(٣) .

والإسلام يتبع جميع وسائل التربية فلا يترك منفذاً في النفس لا يصل إليه إنه يستخدم القدوة والموعظة ، والترغيب والثواب ... ولكنه كذلك يستخدم التخويف والترهيب بجميع درجاته من أول التهديد إلى التنفيذ .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي لعلاج مشكلات عملاء الخدمة الاجتماعية ، قد يلجأ أحياناً إلى هذا الأسلوب كمحاولة أخيرة لتقويم الانحراف وتربية الأخلاق ، وخاصة أن هناك صنف منهم لا ينصلح حاله إلا عن طريق الرغبة حيناً والرهبة أحياناً أخرى ، وأنه لا بد من إصلاحه من استعمال وسائل الترغيب والترهيب .

(١) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية ، مصدر سابق ، (ص ٧٢) .

(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع ، نفس المصدر السابق ، (ص ٢٥٠) .

(٣) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، (ص ١٣٦) .

والأخصائي الاجتماعي عندما يطبق هذه الأساليب العلاجية المختلفة لعلاج عملائه فإنه يطبقها بما يناسب فرديتهم الخاصة ، وذلك بعد دراسة صفاتهم الشخصية ، ويعرف قدراتهم وإمكاناتهم ومدى استعدادهم وطرق التربية التي شربوا عليها وعندئذ يختار الأسلوب العلاجي المناسب لكل فرد منهم ، فليس من الضروري أن يطبق كل أساليب التنمية الخلقية على الجميع ، وليس من الضروري أن يطبق كل أساليب العلاج الإسلامي عليهم ، بل يختار منها ما يراه مناسباً للتأثير في كل فرد على حدة حتى ينجح في تغييرهم ويتمكن من تعديل سلوكهم ، ويصل إلى تقويم انحرافهم ، ثم يعمل على تكوين العادات الأخلاقية الصالحة .

٤ - التنمية الأخلاقية بالأضداد :

إن طريق تنمية الأخلاق وتهذيبها عن طريق المضادات الخلقية ، هو أحد أساليب العلاج الإسلامي لكثير من الانحرافات والمفاسد الخلقية . وقد نجح هذا الأسلوب في علاج الأجسام عندما تعالج الحرارة بالبرودة ، والبرودة بالحرارة ... إلخ . فإن الأخلاق تنمي وتهذب أيضاً بالأضداد ، وقد أشار إلى هذا الأسلوب العلاجي الإمام الغزالي عندما قال : « وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن والموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها ؛ فإن كانت من حرارة فبالبرودة ، وإن كانت من برودة فبالحرارة ، فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب ، علاجها بضدها ؛ فيعالج مرض الجهل بالتعلم ، ومرض البخل بالتسخي ، ومرض الكبر بالتواضع ، ومرض البشر بالكف عن المشتبهى تكلفاً ، وكما أنه لا بد من احتمال مرارة الدواء ، وشدة الصبر عن المشتبهيات لعلاج الأبدان المريضة ، فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر ومداومة مرض القلب بل أولى ؛ لأن مرض البدن يخلص المرء منه ، بخلاف مرض القلب فإنه يدوم ، وكما أن كل مبرد لا يصلح لعله سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ، ويختلف ذلك بالشدة والضعف ، والدوام وعدمه ، وبالكثرة والقلة ، ولا بد من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد ، فكذلك النقائص التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار » (١) .

فالمدین مديناً ما بقي عليه درهم ... ومحبة الشيء تلزمه العبودية له ... فاجعل محبتك خالصة لمن تلزمك عبوديته .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي مع عملاء الخدمة الاجتماعية

عن طريق تنمية الأخلاق وتهذيبها بأسلوب المضادات الخلقية ، فإنه يسعى إلى تعديل سلوكهم وتكوين أخلاقهم ، ورد انحرافاتهم عن طريق هذا الأسلوب .

وهكذا يعالج الأخصائي مفاصل الأخلاق بأضدادها ، فالعميل الجبان الخائف يعالج بتعريضه لمواقف تتطلب الشجاعة ، والعميل الكاذب يعالج بالصدق ، والعميل الذي يشعر بالاضطهاد والظلم في حاجة إلى الأمن والطمأنينة من خلال علاقة المحبة الصادقة التي تكونت بينه وبين الأخصائي الاجتماعي ومن خلال المحبة التي يساعده الأخصائي الاجتماعي على تكوينها مع زملائه ورؤسائه بالمؤسسة ، وذلك يستبدل الخوف بالأمن ، والكراهية بالحب ، والسلبية بالإيجابية ، والشر بالخير ، والإلحاد بالإيمان ، وعندئذ تتغير أخلاقه وتهذب ويصبح العميل المنحرف حسن الطباع ، طيب الأخلاق ، ويعود إلى فطرته السليمة التي خلقه الله فيها ، وينجح العلاج الإسلامي في الأخذ بيد العملاء وتوجيههم إلى الطريق المستقيم ، طريق الهدى والحب والإيمان .

٥ - العلاج الإسلامي بالتنمية العقلية :

التنمية العقلية أسلوب آخر من أساليب العلاج الإسلامي ، حيث إن العقل البشري طاقة من أكبر طاقاته ، ونعمة من أكبر نعم الله عليه ، ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك: ٢٣] ، (والفؤاد) يستخدم في القرآن بمعنى العقل أو القوة الواعية في الإنسان أو القوة المدركة على وجه العموم ^(١) . ولذلك كرم الله الإنسان بهذا العقل وما أودعه فيه من قدرات كثيرة منها القدرة على التعلم تثقيفاً لهذا العقل وتسديداً لتفكيره وأحكامه ، ولهذا جاء الإسلام يحض على النظر العقلي والتفكير حتى جعل التفكير والتعلم فريضتين إسلاميتين ^(٢) : ولذلك كان الدين الإسلامي دين علم ونور ، لا دين جهالة وظلمة ، فأول أية نزل بها الوحي فيها أمر للرسول بالقراءة وتكريم لذلك الأمر ، وتنويه بشأن العلم والتعليم الذي تم إسناده إلى الله .

﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٣ - ٥]

والإسلام دين الفطرة الذي يحترم الطاقات البشرية كلها ، ومن ثم فهو يحترم الطاقة ويشجعها ، وينميها لتتجه في طريق الخير ، ويبدأ الإسلام التنمية العقلية بتحديد مجال النظر العقلي ، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبات التي لا سبيل للعقل البشري

(١) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، (ص ٨٢) .

(٢) الحل الإسلامي ضرورة وفريضة ، مصدر سابق ، (ص ٥١) .

أن يحكم فيها ، وهو يعطي الإنسان نصيبه من هذه الغيبيات بالقدر الذي يليه ميله للمجهول ، ولكنه يكل أمر ذلك إلى الروح ، فهي القادرة على ذلك ، المزودة بوسائل الوصول ، أما العقل فوسيلته إلى الله وإلى معرفة الحق ، هي تدبر الظاهر للحس والمدرّك بالعقل ، ومن ثمَّ يحدد الإسلام مجاله بهذا النطاق ، ولا يتركه يغرق في التيه الذي غرقت فيه الفلسفة واللاهوتيات ، ثم بعد ذلك يأخذ في تدريب الطاقة العقلية على طريق الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة ، فيتخذ إلى ذلك وسيلتين : الوسيلة الأولى هي وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي . والوسيلة الثانية هي تدبر نواميس الكون وتأمّل ما فيها من دقة وارتباط ^(١) .

وبعد أن أعطى الإسلام كل هذا الاهتمام للتنمية العقلية ، اهتم أيضًا بتثقيف هذا العقل ، وتسديد تفكيره عن طريق العلم ، والعلم في نظر الإمام الشافعي قوام الدنيا وقوام الدين حيث قال : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معًا فعليه بالعلم » ، كما دعا الرسول إلى التعليم وأوجبه فقال : « علموا أولادكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » ولم يقف عند الدعوة إلى نشر التعليم فحسب ، بل دعا إلى الاستمرار في طلب العلم والتعلم ، والبحث والاطلاع فقال : « لا يزال الرجل عالمًا ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل » ، ولذلك صار طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّتِنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] .

واهتمام العلاج الإسلامي هذا الاهتمام الكبير بالتنمية العقلية يرجع إلى قول كثير من العلماء بأن العامل المؤثر في تكوين العقيدة هو العقل فما دام الارتباط بين العقل والعقيدة قائمًا على أوثق وجه ، كان لا بد من إرجاع العقيدة في تكوينها وتكيفه وأوجه التأثير إلى عامل العقل ^(٢) . والعقيدة الدينية لشدة فاعليتها وقوة سلطانها على الأفراد والجماعات ، احتلت المكانة الأولى في دائرة النفوذ بين غيرها من العقائد ، خاصة إذا كانت راسخة ثابتة تقوم على إدراك واضح وعلم يقين ثابت .

واهتمام العلاج الإسلامي بالتنمية العقلية ، يرجع لما لها من تأثير كبير في تكوين

(١) منهج التربية الإسلامية ، المصدر السابق ، (ص ٩٢) .

(٢) العقيدة والأخلاق ، مصدر سابق ، (ص ٥٦) .

كل ما يلحق بها ، أو يؤثر فيها تأثيراً ولو طفيفاً في قدرتها على التمييز بين الحق والباطل في المعتقدات ، والخطأ والصواب ، أو الضار النافع في التصرفات ، قولية كانت أو فعلية . ولهذا كله لجأت الخدمة الاجتماعية إلى العلاج الإسلامي لعلاج المشكلات الاجتماعية ، متبعة في ذلك كل أساليبه المختلفة ومنها التنمية العقلية ، حيث إن هؤلاء العملاء ، قد اضطرب تفكيرهم ، وعجزت عقولهم عن التمييز بين الحق والباطل في المعتقدات ، والخطأ والصواب ، ولذلك انحرفوا ، وعندئذ ظهرت الحاجة الملحة إلى تنمية عقولهم والعناية بها وصيانتها حتى يستقيم تفكيرها .

ولذلك يحاول الأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي مساعدة هؤلاء العملاء على الاستفادة من الفرص التعليمية ، إن كانت موجودة بأكثر قدر ممكن ، أو يحثهم على استكمال تعليمهم إن كانوا توقفوا عن التعليم مستعيناً في إقناعهم بعلاقة الحب والمودة التي كوّنها معهم ، كما أنه يستطيع تنظيم بعض البرامج والأنشطة لحو أمية الأميين منهم والاستعانة ببعض الخبرات التي تعينه في ذلك ؛ لأنه عن طريق التعليم يساعدهم على اكتساب الخبرات الكثيرة التي تساعد على علاج المشكلات . ولكي يحقق الأخصائي الاجتماعي الهدف من التنمية العقلية في علاج عملائه فإنه يمارس معهم عمليات تعليمية وتربوية .

وأساليب الأخصائي الاجتماعي لتعليم هؤلاء العملاء يمكن حصرها فيما يلي^(١) :

١ - أسلوب التنبيه :

التنبيه هو الأسلوب الذي يمارسه الأخصائي الاجتماعي لإيجاد الدافع للتعلم ، فوجود الدافع شرط أساسي لتحرير طاقة العميل وتوجيهها وجهة خاصة ويتم التنبيه بوسائل مختلفة أهمها : توضيح فوائد التعلم ، ثم توضيح أخطار عدم التعلم ، ثم إتاحة فرصة التعلم ، وتتم هذه العمليات تصريحاً أو تلميحاً ، حسب درجة نضج العميل ودرجة فاعليته .

٢ - أسلوب التوضيح :

أسلوب التوضيح يعقب أسلوب التنبيه ، حيث يتطلع العميل إلى الخبرة والمعرفة تلقائياً ، سواء كانت خبرة خاصة بالمؤسسة أو بالأخصائي الاجتماعي ، أو بالموقف

(١) عبد الفتاح عثمان « خدمة الفرد في المجتمع النامي » ، (ص ٣٧٩) .

أو بجوانب عامة مرتبطة بالتنشئة الاجتماعية ، وللتوضيح ثلاث مناطق رئيسية هي : تزويد العميل بمعلومات جديدة ، كتعريف الحدث طريقة استخراج كعب العمل أو تفسير لأسباب موقف معين ، أو كتوضيح أسباب حرمان الحدث من الخروج من المؤسسة أو تصحيح معلومات خاطئة لدى العميل ، أو تصحيح معلومات الحدث وتفهمه بأن إخلاء سبيله ليس رهناً بقضاء مدة العقوبة ، بل بتحسين سلوكه حسب تقرير المؤسسة أو كتوضيح ما يغمض عليه من أساليب التنبيه السابقة التي قد يصعب على الحدث فهمها وتكون سبباً في مقاومة عملية التعلم .

٣ - أسلوب الإقناع :

الإقناع هو تأثير عقل على آخر ، وهذا الأسلوب يمارسه الأخصائي الاجتماعي عندما تلقى الخبرة المعرفية مقاومة من العميل ، مع مراعاة أن يكون هذا التأثير معتمداً على المنطق والواقعية وحسن التقدير ، وهذا الأسلوب يتطلب من الأخصائي الاجتماعي رحابة الصدر واللباقة عند مناقشة العميل في المعتقدات الخاطئة ونواحي عدم صوابها ، كما أنه يمارس مع العميل الذي يتمتع بقدر مناسب من الذكاء وتكامل الشخصية .

٤ - أسلوب التدعيم :

إن استجابة العميل لأساليب التوضيح والامتناع يتحدد بناء على ما يعقبها من تثبيط والمقصود بالتدعيم هو مكافأة الفعل أو الثواب الذي يعقب الاستجابة .

٥ - أسلوب التعميم :

والتعميم هو العملية النفسية المسؤولة عن نقل ما اكتسبه العميل من عادات جديدة في موقف معين إلى غيره من المواقف المتشابهة ، والأخصائي الاجتماعي لا يهدف إلى إكساب العميل عادات معينة فحسب ، بل إلى انتقال أثر السلوك إلى العديد من المواقف سواء واجهته أو واجهت آخرين من المحيطين به ^(١) .

العلاج الإسلامي بتنمية العلاقات والقيم الاجتماعية

والإسلام كما اهتم بالتنمية الخلقية والعقلية والدينية اهتم أيضاً بالتربية الاجتماعية اهتماماً كبيراً ، كما لها من أثر كبير على كل من الفرد والمجتمع ، وقد أوضح لنا الإسلام مجموعة من الأساليب العلاجية التي عن طريقها يتم العلاج بالتربية الاجتماعية

(١) عبد الفتاح عثمان « خدمة الفرد في المجتمع النامي » ، (ص ٣٨١) .

نوردها فيما يلي :

١ - تنمية القيم والعلاقات الاجتماعية بالحب :

ونبني العلاج الإسلامي على أساس عواطف اجتماعية أهمها المحبة كاحتياج أساسي لكل إنسان ، لا بد من إشباعه وبذلك يصبح الإنسان على استعداد لمحبة الآخرين ، وإذا لم يشبع هذا الاحتياج المهم فسيشعر بكرهية الآخرين ، والضيق منهم والتبرم والسخط عليهم ، وعندئذ يصير عدوانيًا يصب عدوانه على المجتمع بصفة عامة ، وعلى نفسه في أحيان كثيرة ، فيعوج سلوكه ويصبح إنسانًا منحرفًا .

ولذلك اهتم العلاج الإسلامي بإشباع تلك العاطفة السامية ، التي إن صلحت صلح كل شيء وإن طلحت فسد كل شيء ، فبدأ بالتأكيد على محبة الوالدين ، لما لها من أثر على الصحة النفسية للفرد ، ثم أضافت عليه ينبوعًا لا ينضب من ينابيع العاطفة الصادقة ، وهو محبة الله الذي أنعم علينا ، والذي يرحمنا في المحن ، عندما نلجأ إليه وندعوه فيكشف السوء .

وعلى أساس محبة الله يحب المؤمن كل من يشاركه الولاء لله ومحبة الله وطاعته ، والانقياد لشريعته ، والاعتزاز بالسير تحت لوائه ، وهذا ما يسمى بالحب في الله . وقد جعل رسول الله ﷺ محبة قوم ثبتت نصرتهم لله ورسوله من علامات الإيمان ، وبغضهم من علامات النفاق .

عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار : « لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » ^(١) . كما جعل مصير الإنسان يوم القيامة مرتبطًا بمصير من يحبهم ويتعلق بهم ، ويربط بهم برباط اجتماعي في الدنيا ويعمل بعملهم ويبدل من أجلهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من عباد الله عبادًا ليسوا بأنبياء ، يغططهم الأنبياء والشهداء » ، قيل : من هم لعننا نحبهم ؟ قال : « هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب ، وجوههم نور ، على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس » ثم قرأ : ﴿ أَلَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا أُولَٰئِكَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] . رواه النسائي وابن حبان في صحيحه .

(١) يحيى بن شرف النووي (أيًا من الصالحين) الشمرلي بمصر ، بدون ناشر ، (٨٧/٣) .

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « متى الساعة ؟ » قال : « وما أعددت لها ؟ » قال : لا شيء إلا إني أحب الله ورسوله ، قال : « أنت مع خير من أحبيت » رواه البخاري ومسلم ^(١) .

إن الحب في الإسلام يستمد وجوده من الحب الإلهي ، فإذا تحققت منه لذة فهي وسيلة لغاية مرادة لله ، وليست اللذة من أجل اللذة ، إنما هي ثمرة لاتباع أمر الله ، كما أنه إذا بغض شيئاً ، فإنما يبغضه بأمر الله ؛ لأن فيه إسراف أو إفساد أو خيانة أو إثم أو اعتداد أو ظلم ، فالبغض ما يبغضه الله وينهى عن فعله ، كما ورد في كتابه الكريم . والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي مع العملاء عن طريق الحب فإنه يبدأ بنفسه أولاً ، فعمله معهم وتأثيره فيهم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحبه لهم وحبهم له ، فهو يحبهم في الله ولذلك يشقى ويتعب من أجلهم ، ويذل الجهد ويضحى بالوقت في سبيل علاج مشكلاتهم وهو لا ينتظر من وراء ذلك جزاءً أو شكوراً ، فجزاءه على الله وجزاءه من الله وحبه في الله والله .

وعندما ينجح الأخصائي الاجتماعي في اكتساب حبهم ، فيصبح القدوة الحسنة أمامهم ، فيتعلمون منه الحب ، ويدؤون بحبه ثم يحبون بعضهم البعض ، ثم ينتشر الحب حتى يشمل كل الناس ويعم المجتمع ، وعندئذ تصفو قلوبهم وتطهر نفوسهم ويقوم انحرافهم ويتعدل سلوكهم وتعالج مشكلاتهم .

٢ - تنمية العلاقات والقيم الاجتماعية بالتعاون :

من القدر أن الحياة في أي جماعة من الجماعات لا تقوم دون أن يتحقق تعاون بين أفرادها ، وهذا التعاون لا بد من أن يُنظم وتُوضع له الروابط والضوابط التي تجعل عمله عملاً نافعاً مثمراً ، وتقييمه على أسس من العدل والمحبة والإخاء ^(٢) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] فالله يأمر بالتعاون على البر وعمل الخير ومعاونة المعوزين والعاجزين والمساكين ، كما يأمر بالتعاون على التقوى والعمل الصالح وينهى عن التعاون على الإثم والشر والعدوان .

وقال ﷺ : ﴿ وَالْعَصْرُ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر : ١ - ٣] . فمن تمسك بالإيمان وفعل الخير ،

(١) (الترغيب والترهيب) ، (٢٦٢/٣) .

(٢) العقيدة والأخلاق ، مرجع سابق ، (ص ٨٦) .

والتزم الحق ، والصبر لنجح في حياته وعمله . ولن تهلك أمة يتواصى أفرادها بالإيمان ، ويتناهون عن الباطل . وكثيراً ما سقطت الأمم ؛ لأن أبناءها كانوا لا يجدون من يرشدهم إلى الطريق المستقيم وينهاهم عن الشرور التي يرتكبونها ، والآثام التي يعترفونها . وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

إن الفطرة البشرية قد جعلت تحقيق الخيرات لا يمكن أن يستقل به إنسان ، ينفرد بنفسه ويكون في معزل عن الناس ، فلقد كان من مقتضيات الطبيعة البشرية ، والفطرة الإنسانية أن يتعاون الناس على تحقيق خيراتهم مجتمعين ، كل يقوم بما يختص به من فروعها ونواحيها ، لذلك كان من المحتم بل ومن أوجب الواجبات على الناس أن يحب بعضهم بعضاً ، وبدون تلك المحبة ينفروا عقد المجتمع وتذهب كثير من الخيرات ^(١) .

وقد ربط الله واجب الإيمان في النفس والجماعة بأسس من واقع الإنسان وهو ؛ أن للإنسان جانبين من جوانب شخصية أحدهما انفرادية بها يخاطب وبها يكلف ، وبها يتصرف في شؤونه الخاصة في دائرة أحكام الله وإرشاده ، وبها يسأل عن نفسه أين وضعها ؟ وعن عمله ماذا قصد به ، وعن ماله فيما أنفق ؟ وعن عمره فيما أفناه ؟

والأخصائي الاجتماعي الذي يعالج العملاء عن طريق التعاون ، فإنه يبدأ بتدريبهم على ممارسة التعاون فيما بينهم عن طريق بعض الألعاب الرياضية التي تتطلب روح الفريق ، والتي لا بد أن يتعاون فيها العضو مع بقية أعضاء الفريق ، وعندئذ يعرف قيمة التعاون بالممارسة ، ثم يدربه على التعاون عن طريق تحمل بعض المسؤوليات الجماعية مثل مسؤولية الإعداد لرحلة بعقد تقسيم المسؤوليات ومعرفة كل عضو لمسؤوليته التي تكمل المسؤولية الجماعية ، أو توزيع مسؤوليات الاشتراك في حفلة والإعداد لها ، وفي كل ذلك يوضح لهم الأخصائي الاجتماعي قيمة التعاون وآثاره الإيجابية ونتائجه الطيبة على الفرد والجماعة . وبعد ذلك يتدرج معهم الأخصائي في إسناده بعض المسؤوليات إليهم خارج المؤسسة على أن تكون مكملة لمسؤوليات أخرى في مكان آخر وعندئذ يعرف العميل قيمة التعاون خارج المؤسسة ، كما عرفها داخل المؤسسة ، وبالتالي يعرف قيمة التعاون بالنسبة للمجتمع ككل . وبعد ذلك نجده يقلع عن السلوك المنحرف ويتعد عنه ، ويتجه إلى البناء بدلاً من الهدم ، والنماء بدلاً من الضياع ، والايجابية بدلاً من السلبية ، ويصبح إنساناً صالحاً متعاوناً في حقوقه وواجباته ، ويصير لبنة من لبنات بناء المجتمع .

(١) العقيدة والأخلاق ، مرجع سابق ، (ص ٢٤٩) .

٣ - تنمية القيم الاجتماعية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

فالأمر بالمعروف وسيلة لإصلاح الأفراد والجماعات والمجتمع ، كما أن النهي عن المنكر وسيلة يستطيع بها من أتى منكراً أن يجد من ينهاه عنه ، ويرشده إلى الصواب ، ويأمره بالمعروف ، فيعتدل ويفيق إلى الحق ، وهو أسلوب رائع جميل فيه المحبة للناس ، وفيه المحبة للفضائل ، وفيه الكراهية للردائل ، ومنع الناس من أذائها ، وقد ورد الحديث الشريف : « من رأى منكم منكراً فليغيره » وهذا الأسلوب لو أهمله المسلمون لعمهم البلاء ، ولفسد المجتمع ، فقد قال الرسول ﷺ : « ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم ، إلا وعمهم الله بعذاب محتضر » . وهذا الأسلوب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يشترك في أدائه الأفراد في المجتمع في المجال الفردي ، والهيئة الحاكمة في المجال الجماعي .

وقال الرسول ﷺ : « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » ^(١) .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، فالله أمر بالدعوة إلى الإسلام وفعل الخير من صدقه ، وإيثار ، وتعاون ، وترابط وتضامن ، وأمر بالمعروف وهو ما استحسنته الشرع : كالتواصي بالحق والرحمة والإحسان والصبر ، ونهى عن المنكر وهو ما استقبحة الشرع : كالظلم ، وعدم إخراج الزكاة ، وكالخيانة والغدر والكذب .

٤ - تنمية القيم الاجتماعية بتطبيق الحدود الشرعية :

المرحلة الاجتماعية الأخيرة في ضبط السلوك وعلاج المشكلات هي الحدود الشرعية ، فمن الناس من لا ينفع معه وازع العقل ولا وازع الضمير ، ولا وازع التهيب ، ولا وازع الكفارات والمحاسبة الشخصية على الأخطاء المستورة ، وكان سلوكه معوجاً حتى احتاج إلى من ينهاه عن المنكر ويأمره بالمعروف ، فلم يرتدع وأصبح مصدر عدوان على نفسه وعلى المجتمع ، فلا بد هنا من حدود وقائية وعلاجية تشرع لإكراهه بالقوة إلى اتخاذ المسالك الحسنة فيقام عليه الحد ، وأسلوب الحدود الشرعية هو أسلوب الحاكم وحده ، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، فأعطى الله السلطان

(١) روح الإسلام ، مصدر سابق ، (ص ٢٥٤) .

تنفيذ حدود الله وقد قال تعالى : ﴿ وَكُمِّ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوايَ الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩] ، فمن قتل يقتل ، ومن سرق يقطع يده ، ومن كان متزوجاً وزنى يجرم ، ومن شرب الخمر يجلد ... وهكذا باقي الحدود ، فالحدود تطهير للشخص مما ارتكب من الذنب ، وحفظ للمجتمع من الفساد والرذيلة ؛ إذ إن الحدود جواهر ، أي تجبر ما حصل من الإنسان ، وتكون واعية للاعتبار بها ، أي زواجر للناس ، فمن فضل الله أنها جواهر لمن يرتكبها ، وزواجر لمن يفكر الإتيان بها ، وبذلك يحفظ المجتمع من الفساد والإفساد ، وهكذا يصبح الفرد رقيئاً على نفسه وعلى المجتمع ، ويصبح المجتمع رقيئاً على الأفراد ^(١) .

أما أسلوب تنمية العلاقة والقيم الاجتماعية عن طريق الحب ؛ فالأخصائي الاجتماعي يعتمد في عمله كله على العلاقة الطيبة التي يكوّنها بينه وبين هؤلاء العملاء ، وهي علاقة حب صادق ، ومودة خالصة والتي يلمسها العلماء ويحسون بها ويعيشونها ، وعندئذ يعممون الحب على الآخرين الذين يتعاملون معهم . بعد أن افتقدوا الحب وحرموا من المودة ، وكان ذلك من أسباب مشكلاتهم ، ثم يتدرج هذا الحب إلى أن يصل إلى أعظم درجاته وهي المحبة الصادقة لكل الناس ، تقرباً إلى الله واكتساباً لمحبهته .

أما تنمية القيم الاجتماعية عن طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن الأخصائي يمارس هذا الأسلوب معهم ، ويستغله ليعيد العملاء إلى فطرتهم الطاهرة ، ويصونها عن التدنس ، وارتكاب الأخطاء ، والتي تقيهم من الانحراف ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بأن الأخصائي الاجتماعي يستغل هذا الأسلوب ، ليغرس في قلوب العملاء معاني الإيمان بشتى الطرق وفي مختلف المناسبات ، فهو يلفت أنظارهم إلى كل ظاهرة من ظواهر الكون ، الدالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته وبعد ذلك يوجه سلوكهم بآداب الإسلام .

أما عن تنمية القيم الاجتماعية عن طريق الحدود الشرعية فإن الأخصائي الاجتماعي ما هو إلا ممثل للمجتمع ، يطبق دأبه ، ويرتبط بقيمه ، ويرجع إلى أمر الله ، ويحكم شريعته في تنظيم المجتمع ، حيث إن ذلك يعتبر من أهم مصادر الروابط والأهداف الاجتماعية ؛ لأنه يهدف إلى تربية الأفراد وتأديبهم بطلب مرضاة الله ، فإذا انحرف الفرد عن هذا الهدف ، أدانه المجتمع ، وأصبح من حق الأخصائي الاجتماعي أن يتخذ

(١) السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ، (ص ٢٠٤) .

معهُ شتى الأساليب التربوية كمحاولة أخيرة للتأثير فيه أو تغييره ، وإذا لم تجد معه كل هذه الأساليب أصبح من حق الأخصائي الاجتماعي تسليمه للسلطة التي تنفذ أوامر الله ؛ لتطبق عليه أي نوع من أنواع الحدود الشرعية ، حتى يعود الأفراد إلى حظيرة الإيمان والتوبة والندم ، ويرجعون إلى العمل بمقتضى الشريعة وآدابها .

العلاج الإسلامي بالتنمية النفسية

مَنْ نظر في تعاليم الدين الإسلامي وتأمل مقاصده ، ليدرك أنه يرمي إلى غرض واحد هو توفير الكمال النفسي للإنسان ، وتيسير أسباب السعادة له في دنياه وآخرته متمثلاً في تنظيم سلوكه وضبطه ^(١) .

إن الإسلام يقدم بتعاليمه الكاملة السليمة أفضل العون للنفوس ، وما العبادات في الإسلام إلّا وسائل ربانية لتربية النفس وتنظيم طاقاته ، وهو إذا يحصنها بهذه العبادات لا يقتل حيويتها ولا يضعف منها أبداً حتى تلك الغرائز الجنسية الشهوية ، لا يقف منها موقف العداء ؛ وإنما يعمل على تنظيمها ، فتتحول بذلك إلى طاقة بناء للحياة .

إن القرآن أسلوب رائع للتنمية النفسية ؛ فهو يربي المرء على الإيمان بوحداية الله وباليوم الآخر . ويقول « محمد إقبال » في كتابه إعادة بناء الفكر الإسلامي : « ما يأتي به الدين من علم والإيمان به هو تجربة نفسية تخضع للممارسة الداخلية للإنسان أي تخضع لجهاد النفس ، وترويضها ، فكلما جاهد الإنسان شهوات نفسه ، ووقف في سبيل هواها ، كلما زاد إدراكه وضوحاً وعمقاً للطريق السوي في الحياة ، وكلما زاد إيمانه قوة بالله وبرسالته ، ونهاية هذه التجربة النفسية يتجلى في الصفاء النفسي » ^(٢) .

إن أسلوب القرآن في تنمية النفس ، يفرض الإقناع العقلي مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات النفسية ، فهو بذلك يربي العقل والعاطفة معاً ، متمشياً مع نظرة الإنسان في البساطة وعدم التكلف ، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة .

يبدأ القرآن من المحسوس والمشهود المسلّم به ؛ كالمطر ، والرياح ، والنبات ، والبرق والبرق . ثم ينتقل إلى استلزام وجود الله ، وعظمته وقدرته ، وسائر صفات الله مع اتخاذ أسلوب الاستفهام أحياناً ، إما للتقريع ، وإما للتنبيه ، وإما للتحبيب والتذكير بالجميل .. أو نحو ذلك . مما يثير في النفس الانفعالات الربانية ؛ كالخضوع ، والشكر ،

(٢) نحو القرآن ، مصدر سابق ، (ص ١٤٩) .

(١) المرجع السابق ، (ص ٨) .

العلاج الإسلامي للحالات الفردية —————
ومحبة الله ، والخشوع له ، ثم تأتي العبادات والسلوك المثالي تطبيقًا عمليًا للأخلاق الربانية (١) .

إن الدين الإسلامي يعتمد في إصلاحه على تهذيب النفس الإنسانية ويكرس جهودًا ضخمة للتغلغل في أعماقها وغرس التعاليم في جوهرها ، فالنفس الإنسانية هي موضوع عمله ومحور نشاطه ؛ لأن الإسلام دين الفطرة ، قال تعالى : ﴿ فَأَقُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي يُفْقِدُ الْقِيَمَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] .

والنفس المنحرفة تثير الفوضى في حكم النظم وتستطيع النفاذ منه إلى أغراضها الدنيئة ، والنفس الكريمة ترفع الفتوق ، وتحسن التصرف في الأمور ، وتسير وسط الزواجر والأعاصير (٢) .

والعلاج الإسلامي لكي يصل إلى تحقيق أهدافه في التنمية النفسية « فإنها تنطلق من محركين أساسيين ، محرك ترغيب ، ومحرك ترهيب ، فالنفس تنزع بفطرتها إلى الهوى ، وتميل إلى الشهوة ، وتركن إلى تحقيق ذلك ركونًا عظيمًا » .

والتنمية النفسية كأسلوب مهم من أساليب العلاج الإسلامي يمكن تحقيقها بالأساليب التالية :

١ - تنمية الإرادة :

لقد أوضح الإسلام المنهج العلمي لتنمية الإرادة (٣) ، وتدريبها على الالتزام بموقف الحكمة والهدى والثبات أمام تيار الهوى كما يلي :

أ - تنمية الإرادة بالتحكم في المشاعر (كظم الغيظ والحد من الغضب) :

وهنا يطالبنا الشرع الحكيم في أشد حالات الغضب ، مادمنًا متمتعين بوعينا وإدراكنا أن نسيطر على حركات ألسنتنا وجوارحنا ، ويحاسبنا على الأسلوب القولي والفعلي الذي نختاره في التعبير عن شعورنا .

وبالمثل نستطيع أن نتصرف في مواقف الغضب لا بمصادمة هذه الغريزة نفسها ، ولا بمقاومة حركتها الطبيعية في بداية اندفاعها ، ولكن بتوجيه هذه الحركة وتحويل خط

(١) التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، (ص ٢١) .

(٢) السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ، (ص ٨٩) .

(٣) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية ، مصدر سابق ، (ص ٤٥ - ٥٠) .

سيرها على النمط الذي رسمه لنا القدوة الأعظم صلوات الله عليه ، فلنستمع إلى شيء من إرشاداته الحكيمة التي يوجهها إلى من يقع تحت سلطان الغضب ، وهي إرشادات تبرهن على ما لصاحبها من علم واسع عميق ، وإدراك كامل دقيق لمدى هذه القوى النفسية في حدودها الطبيعية وفيما وراء تلك الحدود ، ففي اللحظة التي يدفعنا فيها الغضب إلى التفوه بكلمة تنفس بها عن غضبنا ، لا يأمرنا الرسول الكريم بأن نسكت ونحبس أنفاسنا ، بل يرشدنا بالعكس إلى أن نقول شيئاً ، ولكنه يختار لنا الصيغة المعبرة عن هذا الانفعال وهي : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » أليست هذه الكلمة وحدها كافية لفتح صمام الرجل الذي يغلي في الصدور ، وتخفيف الضغط الذي كان يولد فيه الانفجار .

فإذا ما دعتنا حدة الغضب إلى شيء أكثر من القول ، وانبعثت فينا نزعة قوية إلى البطش باليد أوغير ذلك من الحركات البدنية ، فإن الإرشاد النبوي يساير هذه الحركة الطبيعية أيضاً في مبدئها ، ولكنه لا يلبث أن يحول مجراها برفق بعيداً عن هدفها ، ولنستمع إليه ﷺ حين يقول : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقع ، ليذهب عنه الغضب ، وإلا فليضجع » (١) .

وللغضب أنواع متعددة من العلاج (٢) :

أولها : كظم الغيظ الذي يرد الغضب ويسكنه فإنه أعظم وسيلة لرده وأعظم علاج لدفعه ، قال الرسول ﷺ : « إذا غضبت فاسكت » ، وقال ﷺ : « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لمأمضاه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً » ، وقال الله تعالى في معرض المدح لهم : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

ثانيها : هو الحلم عند الغضب ، وقد أجمع العلماء على أن أفضل الأحلام ، الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع . وقال الرسول ﷺ : « إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتخير الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه » ، وقال الرسول ﷺ : « ابتغوا الرفعة عند الله » قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ قال : « تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم على من جهل عليك » وعلى ذلك يكون الحلم أفضل من الكظم مثوبةً وأين أهل الدرجات من أهل المثوبات ؟ .

ثالثها : هو العفو والصفح ، وهي درجة لا يقدر عليها إلا من اتصفوا بالإيمان واليقين

(١) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، (ص ٥٠) .

(٢) السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ، (ص ١٣٢) .

ويتضح عظيم درجاته من قوله تعالى : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ، وقال : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، وقال : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢] .

رابعها : وإذا لم يستطع الإنسان أن يكظم غيظه أو يحلم أو يعفو ويصفح فعليه أن يتبع الأساليب الأخرى التي أشار بها الرسول ﷺ وهي تغيير الوضع أو القيام للوضوء ؛ فقد قال الرسول ﷺ : « إذا غضب أحدكم فليترضأ بالماء ، فإنما الغضب من النار » .

ب - تنمية الإرادة بممارسة الحب :

الحب والكره حالتان نفسيتان ؛ وليدة أسباب يبدو لنا بعضها ويخفي عنا البعض الآخر ، فقد يكون مردها إلى مجرد تجاذب الأرواح أو تنافرها ، أو إلى تقارب الأذواق والآراء ، أو تباعدها أو إلى غير ذلك من البواعث ، وأما ما كان منهما من صنع الله مقلب المقلوب وكذلك ما يتبعها من الآثار الجبلية التي لا تنكر قرة عين ، وإشراق جبين ، وانفساح صدر ، وراحة ونعيم في لقاء من تحب ومناجاته . وأضداد ذلك في لقاء من تبغض . إلى هنا يقف عمل الفطرة التي رفعت عنها الأفلام ، ولكننا في غالب الأمر نضيف إليها آثاراً من صنعنا ؛ إذ نفرق في المعاملة بين من نحب ومن نبغض ، ولا نسوى بينهما في الحكم ، بل نكيل لهما بكيلين ونزن بميزانين ، فنحابي من نحب ، ونغضبي عن هفواته ، ونتحامل على من نكره ، ونغطي على حسناته . وهذا هو الحوار الذي نهانا الله عنه ؛ إذ يقول عز شأنه : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، ويقول : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا ﴾ [المائدة : ٢] ؛ هكذا يحملنا الإسلام مسؤولية عملنا ، وعافانا من كسبنا ، فلم يكلفنا اقتلاع عاطفة الرضا ونازعة السخط من أنفسنا ولا كف آثارهما الجبلية ، ولكن كف آثارهما الاختيارية الجائرة ، وقد جعل لنا في ذلك الأسوة الحسنة بصاحب الخلق العظيم ، فقد كان الرسول ﷺ يحذ حق العدل بين زوجاته ؛ ثم يقول : « اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك » ^(١) .

ج - تنمية الإرادة بالصبر والتفيس عن المشاعر :

ترى الناس إذا أصابهم ما يكرهون اندفعوا في هلع هالع ، وجزع خالع اعتذروا بشدة الصدمة الأولى وبعجزهم عن الصبر والتحمل ، كلا أنها حجة داحضة ولله الحجة البالغة ، فإن للحزن أثراً طبيعياً لا جناح فيه ، وإنما السبيل على قول الهجر ، وفعل المنكر الذي تبرأ منه الفطرة .

(١) دراسات إسلامية ، مصدر سابق (ص ٣٧) .

ها هنا أيضًا تجد في مشكاة الشريعة من الأضواء الباهرة ، ما يكشف لنا حدود مسؤولياتنا ، وما وراء تلك الحدود ، ففي أمر الصحيح الذي يرويه البخاري أن النبي ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يعالج سكرات الموت ، فلما رآه رق له قلبه ، وجعلت عيناه تذرفان الدموع ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله !! فقال : « يا ابن عوف إنها رحمة » ، ثم قال : « إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنما لفراقك يا إبراهيم نحزون » هكذا فرق الرسول الحكيم بين الظواهر الحيوية والنفسية التي ليست من كسبنا ، وبين الأقوال والأفعال التي تتبع هذه الحالات الطبيعية ولكنها محض علمنا ، واقعة تحت مسؤوليتنا (١) .

وهكذا نتعلم من الرسول ﷺ الصبر عند الشدائد ، والصبر يأتي بتنمية الإرادة وتدريبها وتكرار هذا التدريب في كثير من المواقف حتى يصبح الصبر عادة للإنسان وصفة من صفاته ، ولن يتحقق ذلك إلا بتنمية الإرادة .

كما تعلمنا من الرسول ﷺ كيف نعبر عن مشاعرنا ، وكيف نفس عن مشاعرنا وخاصة السلبية منها مثل الحزن ، فالتعبير عنها وتنفيسها فيه راحة للنفس ، وتنمية للإرادة ، وقد وصفه الرسول ﷺ بأنه خير ، خير للإنسان ، وخير للمجتمع الذي يحيط به ، ولكن يصاحب هذا التنفيس التحكم في أقوالنا وأفعالنا المصاحبة لهذه المواقف المحزنة حتى لانفعل ما يغضب الله أو نلفظ بما لا يرضيه ، وأي تنمية للإرادة بعد ذلك إن الشريعة الباهرة وضحت لنا مسؤولياتنا وحدود سلوكنا في مثل هذه المواقف بما يؤدي إلى تنمية الإرادة . إن الله ﷻ لا يطلب منا أن نكبت غرائزنا ، ونغير من تكوينها ، ولكنه يعلمنا كيف نوجهها ، ونضبط سلطانها ، وننظم آثارها العملية حتى لا نصبح عُبيدًا لغرائزنا ، وصفافًا أمام مشتيتها ورغباتها ، وبدلاً من ذلك علمنا كيف نغير اتجاهها ونحوه إلى مسار آخر إن استطعنا ، أو نوقف سيرها في الظروف التي تتطلب ذلك .

د - تنمية الإرادة بتحويل اتجاه بعض الغرائز أو وقف سيرها :

فقد علمنا القرآن الكريم كيف يكون موقفنا أمام إلحاح رغباتنا الجامحة ؛ فطوراً يأذن لنا أن نشبع رغباتنا بأسلوب آخر نستبدل فيه الحلال بالحرام ، والطيب بالخبث ، وطوراً يوجهنا نحو معالي الأمور وأسمائها شأناً وأرفعها قدراً ، وهذه هي رتبة الصفوة الخاصة ، ولكنه لا يأمرنا بترك التشهي والتمني إطلاقاً ، ولكنه يرسم لنا أهداف هذا التمني ،

(١) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، (ص ٤٨) .

فلنستمع له حين يقول : ﴿ وَلَا تَمْنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء : ٣٢] .
ثم يقول : ﴿ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النساء : ٣٢] . وهذا نفسه هو الأدب الذي أدب
الله به نبيه فأحسن تأديبه ؛ إذ قال : ﴿ وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه : ١٣١] .

هـ - تنمية الإرادة بالإيحاء :

كثيراً ما ينصح رجال التربية باستخدام الإيحاء عامةً والإيحاء الذاتي خاصةً في تنمية
الإرادة ، ويعرفه بعضهم « بأنها فكرة أو تنبيه عقلي ينادي المشاعر أكثر مما ينادي
العقول » ^(١) .

ويعرفون الإيحاء الذاتي بأنه « هو إيحاء نوجهه إلى أنفسنا » ^(٢) ، ويشترطون لتأثير
الإيحاء في أي ميدان من الميادين بوجود رغبة في عمل ما قبل الإيحاء ، كما يجب أن
تكون الرغبات والعادات الشعورية مهياة لقبول تلك الأفكار الموحى بها ، كذلك يجب
ألا تتعارض تلك الإيحاءات الجديدة مع الإيحاءات الأخرى العميقة التي ثبت الامتناع
بها قبل الإيحاء الجديد ^(٣) .

والشرط الأخير المهم لتأثير الإيحاء أو ذلك يمكن تحقيق الرغبات به عملياً ^(٤) .
أما تنمية الإرادة بالإيحاء كما جاءت في التربية الإسلامية ، فإنها تشبه الوسائل
الإيحائية لدى علماء النفس غير أن نظرة الإسلام تختلف من حيث المصادر التي
يستوحي الإنسان منها الشعور بقوة الإرادة ، فإن علماء النفس إذا كانوا ينصحون بصفة
عامة بالإيحاء الذاتي ، فإن الإسلام ينصح بهذا الإيحاء على أساس استمداده من القوة
الروحية مثل الاستعانة بالله وبقوته ؛ ولهذا قال الرسول لابن عباس عندما كان صغيراً :
« يا غلام إني معلمك كلمات ؛ احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت
فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك
بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك
إلا بشيء قد كتبه الله عليك » ^(٥) .

وعن مصادر الإيحاء الذاتي بالقوة الاعتزاز بالإيمان بالله يقول تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدْ

(١) كيف تمارس الإيحاء الذاتي ، (ص ١٧) .

(٢) نفس المصدر ، (ص ١٩) .

(٣) نفس المصدر ، (ص ٣٠) .

(٤) مسند الإمام أحمد (ص ٢٩٣) .

(٥) نفس المصدر ، (ص ٦١) .

الْعَزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَرُ ﴿١٠﴾ [فاطر : ١٠] .

وإن من حق المؤمن أن يعتز بإيمانه بالله واتباعه الطريق السوي طريق الهدى والصالح وهو
طريق الإسلام : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون : ٨] .
ولهذا أمر الإسلام أن يكون المؤمن قويًا ؛ لأن المؤمن القوي أحب إلى الله وخير من
المؤمن الضعيف ، فقال الرسول ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن
الضعيف » ^(١) ، ولهذا كان الرسول ﷺ يستعيز من الضعف والعجز أو الشعور بالضعف
والعجز ، وكان يقول : « اللهم أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل » ^(٢) .

و - تنمية الإرادة بالزهد في متع الدنيا :

إن الزهد في متع الدنيا والتقليل من العادات الضارة في المأكل والمشرب والملبس مثل
الإفراط والشره والطمع والحرص على جمع المال ، يجعل الإرادة الإنسانية تخضع لصوت
العلم والعقل والأخلاق لا الغرائز والدوافع الفطرية ؛ وهذا يقتضي تدريبها أو إخضاعها
لهذه الأمور ، وتربيتها بالسير في ضوء الحكمة والأخلاق ؛ لأن الإرادة إذا أصبحت حرة
بدون قيد أو شرط قد تستقيم وقد تنحرف ، ولا ضمان للاستقامة المستمرة ما لم تتدرب
على التقيد بالقيود الفعلية والعملية والأخلاقية .

فإن لم يدرب الإنسان إرادته على مغالبة تلك الدوافع البيولوجية والسيكولوجية ؛
سيكون مغلوبًا على أمره ، ولا يمكن أن يكون صاحب خلق ؛ لأن كثيرًا من مبادئ
الأخلاق لا تتكون إلا عن ذلك الطريق أي بمخالفة الدوافع الطبيعية ^(٣) .

ز - تنمية الإرادة بالتأمل والتفكير :

إن الإرادة تقوى بالتأمل والتفكير وذلك عن طريق أعمال الفكر بالإرادة مدة معينة
في كل ساعة أو في كل يوم في موضوعات معينة ؛ لأن التفكير والتأمل المركز على ذلك
النحو يقوي الإرادة من ناحيتين :

١ - العمل العقلي ؛ كالعمل العضوي فيما ينفق فيه من بذل الجهد وتوجيهه إلى
موضوعات معينة بإرادة ، فكلاهما رياضة بالنسبة للإرادة ، ولهذا نجد أن بعض علماء

(١) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة ، (٢٠٥٢/٤) .

(٢) الجامع الصغير ، (٦١/١) .

(٣) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصدر سابق ، (ص ٦٣٣) .

النفس ينصحون بذلك لتقوية الإرادة ^(١).

٢ - إن الإرادة تقوى إزاء عمل أو أعمال يرى الإنسان وضوح الحق فيها وزوال الشك منها ؛ لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية كانت أكثر جاذبية للإرادة ، ودافعة إلى العمل بموجبها ، وتوجيه التفكير والتأمل إلى الموضوعات وسيلة لجلاء الحقائق فيها ، ولإدراك ما يترتب عليها .

ولهذا نجد الإسلام يدعونا باستمرار إلى التأمل والتفكير في الموضوعات المختلفة وفي المناظر المثيرة والمدهشة في الكون وفي المبادئ التي جاء بها فيقول تعالى مثلاً : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئِئًا وَفُرَادًى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ [سبأ: ٤٦] .

وبين الله أن من يتفكر في دلائل الله وآياته يهتدي إلى الحق فقال : ﴿ إِنِّي فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَةٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ
فِيمَا وَقَعُوا وَعَلَى جُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا
سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿ [آل عمران : ١٩٠ - ١٩١] .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي في علاج العملاء عن طريق تنمية الإرادة كأسلوب مهم من أساليب التنمية النفسية ، يعرف جيداً أن هذه الفئة من الناس أحاطت بهم الضغوط البيئية القاسية ، والتي ترتب عليها الكثير من الضغوط الداخلية النفسية ، والمؤلمة التي جعلتهم يندفعون وراء أهواء الشيطان وأهوائهم وميولهم الشخصية فينحرفون ويرتكبون شتى أنواع السلوك المنحرف أو تواجهه الكثير من المشكلات ، مما يجعلهم في ميسس الحاجة إلى من يقف بجانبه ويساعدهم ويحررهم من تلك الضغوط المؤلمة سواء كانت بيئية أو نفسية ، وهنا يظهر دور الأخصائي الاجتماعي الذي يحاول تقوية إرادتهم وتربيتها عن طريق مساعدتهم أولاً على التحكم في مشاعرهم ، وخاصة السلبية منها مثل كظم الغيظ والحد من الغضب .

ولكن الأخصائي الاجتماعي يحاول مساعدة العملاء في إفراغ هذه الشحنات الانفعالية بصورة إيجابية بدلاً من إفراغها بصورتها السلبية ، فهو يعلمهم أولاً كيف يواجهون الشيطان ووساوسه عن طريق الوصفة النبوية الشريفة ، وهي الاستعانة بالله من الشيطان الرجيم ، ثم بعد ذلك يتيح لهم الفرص التي تسمح لهم بالحركة والنشاط الذي

(١) الفلسفة العملية للحياة ، (ص ١٨٢) .

يغير من وضعهم الذي كانوا فيه عند ثورة الغضب ، ثم يطلب منهم الوضوء ؛ لأن الماء يطفى نار الغضب وثورته كما قال الرسول ﷺ ، ثم يخطط لهم بعض البرامج والأنشطة المختلفة التي تمتص هذه المشاعر ، وتنفس تلك الانفعالات .

فعل الرسول ﷺ عندما توفي ولده إبراهيم فقد أدمعت عيناه وأحس بمشاعر الحزن والألم على فراقه ولكنه تحكم في هذه المشاعر السلبية وأفرغ تلك المشاعر بتعبيرات لفظية ، ولكن بما يرضي الله ولا يغضبه ، والتربية الإسلامية لا تمنعنا من التألم والتعبير عن المشاعر وفي نفس الوقت تعلمنا كيف نتحكم فيها ونغير من نتائجها بما يعود على النفس الراحة والطمأنينة دون انحراف ودون أي معصية لله .

ثم يلجأ الأخصائي الاجتماعي لتنمية إرادة العملاء بالأسلوب الثاني ، وهو الحب وذلك عندما يُنشط إرادتهم بالعلم الذي يمنحها القدرة على العمل ، فيعلمهم كيف يتحابون ؟ وكيف يتساوون جميعاً في الحقوق والواجبات ؟ جاعلاً من نفسه القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يتعلمون منه ويقلدونه ، فهو يحبهم جميعاً كما خلقهم الله ، لا كما يجب أن يكونوا .

وليس معنى ذلك أنه يحب ولا يكره ولا يفعل ، فهو كبقية البشر يحب ويكره ، يسعد ويشقى ، يرضى ويغضب ولكن الصورة التي يتحكم فيها في مشاعره وانفعالاته ؛ لأن العلاج الإسلامي علّمه كيف يتحكم في تلك المشاعر ، وليس معنى ذلك أنه يكتب المشاعر الإنسانية ويمنعها ، ولكن يتحكم فيها ويعبر عنها بالانفعالات والكلمات التي لا تؤذي أحداً ولا تغضب الله وفي نفس الوقت لديه القدرة على استغلال النتائج وتطويعها لصالح العلاج .

وعندما يظهر الأخصائي الاجتماعي بهذه الصورة أمام هؤلاء العملاء المنحرفين ، سيتعلمون منه الحب ، ويتأثرون بإرادته القوية ، فتقوى إرادتهم ويصبحون قادرين على التحكم في مشاعر البغض والكراهية حتى لا تنصرف بالسلوك المنحرف ، بل يعرفون كيف يوجهونها الوجهة التي تعود عليها بالفائدة ، وهذا ما يسمى بتغيير الاتجاه وهو الأسلوب الثالث من أساليب تنمية الإرادة ، أما بعض الغرائز التي لا يمكن إشباعها عن طريق تحويل الاتجاه ، ولا يمكن التحكم فيها فإن الأخصائي الاجتماعي يساعدهم على وقف سيرها ، ومنعها عن طريق تربية النفس ومجاهدتها بألوان العبادات المختلفة مثل ؛ الصوم والصلاة والزكاة .

كما يمكن للأخصائي الاجتماعي تقوية الإرادة وتربيتها عن طريق الإيحاء الذي يستمد من القوة الروحية مثل الاستعانة بالله وقوته والإيمان به والاعتزاز بقدرته وقوته ، باتباعه الطريق السوي ، طريق الهدى والصلاح ، وهو طريق الإسلام ، وكثيراً ما ينجح الإيحاء في المواقف التي لا يصلح فيها التصريح والتوجيه المباشر ، وعندما يحاول الأخصائي تطبيق الإيحاء في تقوية إرادة العملاء ، فإنه يساعدهم على أن يتخيلوا بعقولهم ما يريدون عمله ويعبروا عنه تعبيراً دقيقاً ، ثم يساعدهم على أن يذكروا بدقة وعناية في العقبات والأسباب التي تمنع تحقيق ما يريدون ، وما هي المشاعر التي تحول دون السير في خطوات العلاج المناسبة ، ثم يساعد كلاً منهم على أن يستشعر في نفسه القوة والقدرة ، على ممارسة تلك الأساليب العلاجية ، وعندئذ تقوى إرادته ويصبح على استعداد لممارسة الأساليب العلاجية التي يقترحها عليه الأخصائي الاجتماعي ، وبذلك يتم تقويم الانحراف وتعديل السلوك وعلاج المشكلات .

أما أسلوب الترك والمنع والزهد فيما ترغبه النفس وتهواه ، فهو أسلوب آخر من أساليب تنمية الإرادة وتقويتها .

ولذلك فإن الأخصائي يقف بجانبه يشجعه ويوجهه ، يساعده ويعينه ، مستعيناً بالحب والمودة والثقة في مساعدته على رياضة النفس ومجاهدتها عن طريق كفها ومنعها عما تحبه وتشتهيه ، ويدربه على ذلك بالصبر والتدريب إلى أن يصبح قادراً على الاستغناء عن كثير من ملذاته ، متحكماً في كثير من غرائزه وشهواته ، ويستعين الأخصائي الاجتماعي في ذلك بممارسة العبادات المختلفة مثل : الصوم والزكاة والصلاة .

وعندما تقوى الإرادة تنضج الشخصية وتنمو ، ونمو الشخصية ونضجها هو هدف العلاج الإسلامي ، حيث الشخصية الناضجة قادرة على مقاومة الانحراف والابتعاد عن السلوك المنحرف ، وتصبح شخصية متوافقة تلتزم بأداب التربية الإسلامية .

وهناك أسلوب آخر لتقوية الإرادة وتربيتها ، وهو التأمل والتفكير في الموضوعات المختلفة ؛ لأنها وسيلة لجلاء الحقائق وإدراك ما يترتب عليها من خير وشر ؛ لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية كانت أكثر جاذبية للإرادة ، ودافعة إلى العمل بموجبها .

وبهذا الأسلوب الإسلامي في تنمية الإرادة يستطيع الأخصائي الاجتماعي مساعدة العملاء وتنمية نفوسهم بما يساعدهم على تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم ، وعلاج مشكلاتهم ويصبحون قادرين على أداء أدوارهم الاجتماعية في المجتمع كأفراد أسوياء

بعد أن عرفوا مكانهم على الطريق المستقيم الذي وجهتهم إليه التربية الإسلامية .
وهناك أسلوب آخر لتقوية الإرادة وتربيتها وهو التأمل والتفكير في الموضوعات المختلفة ؛ لأنها وسيلة لجلاء الحقائق وإدراك ما يترتب عليها من خير وشر ؛ لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية كانت أكبر جاذبية للإرادة ، ودافعة إلى العمل بموجبها .
وبهذا الأسلوب الإسلامي في تنمية الإرادة يستطيع الأخصائي الاجتماعي مساعدة العملاء وتنمية شخصياتهم ، وتنمية نفوسهم بما يساعد على تقويم انحرافهم ، وتعديل سلوكهم ، وعلاج مشكلاتهم ويصبحون قادرين على أداء أدوارهم الاجتماعية في المجتمع كأفراد أسوياء بعد أن عرفوا مكانهم على الطريق المستقيم الذي وجهتهم إليه التربية الإسلامية .

٢ - تنمية الضمير :

الضمير هو صوت ينبعث من أعماق الصدور ، أمرًا بالخير أو ناهيًا عن الشر ، وإن لم ترج مشوبة ، أو تخش عقوبة .

وخلاصة ما يمكن استخلاصه من تعريفات للضمير هو الرأي المختار الذي يأخذ من كل من الآراء المتقدمة بطرف ويطرح منها ما كان مثارًا للنقد والاعتراض ، وذلك هو القول بأن الضمير قوة فطرية في كل إنسان وإن كان للتنمية العقلية والأدبية دخلًا في نموها وتحقيق كمالها ، ولعل هذا ما أراده الإمام الغزالي عندما سماه أولاً (نورًا إلهيًا) مما يمكن تفسيره بأنه قوة فطرية وثائياً (معرفة) مما يبيح لنا القول بزنه قابل كذلك للتأثير في نموه وكمال حقيقته بعوامل التربية (١) .

إن التربية القرآنية اهتمت بقيمة الضمير وتهذيب الشعور الأخلاقي ، ومن أمثلة هذه التربية قوله في التنفير عن الغيبة : ﴿ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات : ١٢] ، وبذلك صور هذه الجريمة في أبشع صورة تنقز منها النفوس ، وفي النهي عن الكبر والعجب والخيلاء : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٧] .

ومن التحذير في التسرع على الآخرين قوله تعالى : ﴿ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] .

(١) العقيدة والأخلاق ، مصدر سابق ، (ص ٢٢٥) .

فانظروا كيف حذرنا مقدماً من عمل ما قد يترتب عليه تأنيب الضمير ووخزه ، ثم انظر كيف نفرنا القرآن من جريمة الزنى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّكُمْ كَانُمْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] ، وفي الحث على غض البصر وطهارة الذيل : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾ [النور : ٣٠] ، هذه قطرات من بحر ، ففي القرآن الكريم أكثر من ألف موضوع يدعو فيها إلى الفضيلة لما فيها من طهر وسمو ، وينهى فيها عن الرذيلة لما فيها من فحش وسقوط ، بغض النظر عن كل اعتبار آخر غير الاعتبار الأخلاقي ، هذا هو تقدير الأعمال بقيمتها الذاتية وذلك كله إيقاظاً لضمائرنا وإنارة السبيل أمام أحكامنا الأدبية .

في كل هذه الأمثلة رأينا القرآن يزود محكمة الضمير بالمصاييح التي تبرز أمامها كل عمل من أعمالنا ، وتصور ما في طبيعته من حسن وجمال ، أو تشويه ودمامة ، أو خير وشر ، ثم رأيناه يعرض علينا عمل هذه المحكمة في تحضير قضاياها ، وفي أصول أحكامها .

والأخصائي الاجتماعي الذي يستخدم العلاج الإسلامي في علاج المشكلات الاجتماعية يعرف جيداً أن القانون الأخلاقي قد طبع في النفس الإنسانية منذ نشأتها ؛ ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس : ٧ ، ٨] . غير أن هذا القانون الأخلاقي المطبوع فينا ناقص وغير كافٍ ؛ وذلك لأن هناك مؤثرات كثيرة قد تكون بيئية أو وراثية ، أو مصالح مباشرة أو إعادة من العادات المؤثرة ، وكلها تلقي أنواعاً من الظلال على نور البصيرة الفطري ، كما أن الضمير في بعض الأحيان ، قد يتأثر بدرجة كبيرة بتلك المؤثرات المختلفة ، وعندئذٍ يقوم الأخصائي الاجتماعي بمحاولة إيقاظ تلك الضمائر ، وإزالة الغشاوة عن النور الفطري الذي أودعه الله في الناس جميعاً ، وبذلك يظهر النور الفطري ويتنشر ، ويملاً جوانب النفس .

هكذا يستطيع الأخصائي الاجتماعي تقويم علاج مشكلات عملائه ، وتعديل سلوكه بعد أن أيقظ الضمير النائم ، وأثار البصيرة المظلمة وأصبح للإرادة قوة وفعالية تحفزها للعمل . والأخصائي الاجتماعي يستعين في ذلك بشتى أساليب التربية الإسلامية لتحقيق هذا الهدف ، وليس معنى ذلك أن الأخصائي يسعى إلى الأخلاق المثالية ويطلب الوصول إلى الكمال حيث إن الكمال لله وحده ، ولكنه يسعى إلى الأخلاق الحقيقية التي تضع الضمير الإنساني في وضع متوسط بين المثالي والواقعي ، وتجعله يدمج بينهما النفس ، قوى الإرادة ، متزن الضمير .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي عن طريق التنمية فإنه يسترشد بالتربية القرآنية في تنمية الضمير ، وتدريب الإرادة وتقويتها ، وذلك عن طريق العبادات المختلفة ؛ مثل : تنمية الإرادة بالصوم والصلاة والزكاة ... إلخ من بقية العبادات .

فمثلاً تنمية الإرادة بالصوم الذي يمكن التعبير عنه بهذه الكلمات : ذق بنفسك ألم الجوع والعطش بامتناعك عن الشراب والطعام خلال ساعات محدودة ، إنه أولاً ، وقبل كل شيء نوع من التدريب المفروض على الإرادة الإنسانية ، حتى تحصل منها على قدر من الانتظام والثبات في خضوعها للإرادة الإلهية . ولما كانت إرادتنا سيادة نفسها ، من حيث سيطرتها على البدن ، ولكنها نائية الرئيس إن صح هذا التعبير - أمام الخالق - فإن مهمتها أن توفق بين هذين الأمرين ، باتباع أحدهما للآخر ﷺ وخيرها يكمن في التزامها بدور الوسيط الذي يعرف قدر نفسه ، وشرها في أن تقلب النظام الأصلي ، فتتردى إلى أسفل ، وتكون مستترقة للشهوات .

وهكذا تلتقي نائية الرئيس (أي الإرادة) بمناسبة عمل أحد أمرين متعارضين في كل يوم مرتين ؛ أحدهما بأن تكف ، والآخر بأن تعمل فإذا ما حرصت إرادتنا على القيام بتنفيذ هذين الأمرين في مجالها الخاص ، ومن أن تعيد نفس التدريب خلال الشهر فيا له من ترويض لتلك الإرادة !!) (١) .

أما إيقاظ الضمير وتنميته فيستطيع الأخصائي الاجتماعي تحقيقه بتعليم الصلاة وتعويدهم عليها ، ووجوده معهم باستمرار أثناءها - وخاصة بالمسجد - ثم يقوم بتوضيح أهدافها وفوائدها ، حتى يتوجه إلى الله بفكر خالص .

وعندما يتعلم العميل الصلاة ويخلص في أدائها ، سيسيقظ ضميره ، وتقوى إرادته ، وينجح الأخصائي الاجتماعي في تقويم انحرافه وتعديل سلوكه وعلاج مشكلاته .

٣ - رياضة النفس ومجاهدتها :

رياضة النفس ومجاهدتها هي محاولة السيطرة عليها والتحكم فيها « بفطمها عن العادات المألوفة ، والشهوات المرذولة ، واللذات المحرمة ، وتدريبها على مخالفة ما تهواه في كل وقت وحين ، فإذا انهمكت النفس في الشهوات ، وحب أحكام لجامها بالتقوى ، والخوف من الله ، وإذا توقفت عن القيام بالطاعات ؛ ساق الإنسان نفسه بسياج الخوف ،

(١) الدستور الأخلاقي ، مصدر سابق ، (ص ٦٣٨) .

فخالف هواها ومنع عنها حظوظها» (١) .

ورياضة النفس ومجاهدتها تتم بالمراقبة والمحاسبة ؛ لأن الإنسان عندما يعلم أن الله يراقبه ويطلع على سره وجهره ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد عندئذ يحاسب نفسه ويضبط جنوحها ويلتزم طريق الحق ؛ فيعتدل السلوك ويقدم الانحراف .

والنفس إذا تركت دونما تهذيب وتربية وتأديب ، انحرفت عن الاستقامة ، وسارت في طريق الغواية ، واندفعت إلى النقائص ، وابتعدت من السواء .

هذه الحالة السيئة للنفس البشرية ، وما يترتب عليها من شحنات المشاعر السلبية التي ظهرت في صورة القلق والاضطراب ، والرعب والفرع ، والحقد والحسد والعدوان ، من الأعراض التي يعانيها العملاء ، وتجعلهم في ميسس الحاجة إلى العون والعلاج ، وعندئذ يقوم الأخصائي الاجتماعي بتطبيق مراحل الرياضة النفسية كما يلي :

أ - تفريغ الطاقة النفسية :

من وسائل الإسلام في تربية الإنسان وفي علاجه كذلك ، تفريغ الشحنات المتجمعة في نفسه وجسمه أولاً بأول ، وعدم اختزانها إلا ريثما تتجمع للانطلاق ، وبذلك يقي النفس من كثير من أنواع الانحراف المعروفة في علم النفس .

وهذه العملية هي التي يسميها علم النفس بالإفراغ الوجداني أو التنفيس الوجداني لتلك المشاعر والأحاسيس - التي تمثل ضغوطاً داخلية على نفس الإنسان وتجعله يعاني من التوتر والقلق ، ذلك التوتر الذي يدفعه إلى الانحراف أو ارتكاب السلوك المنحرف ، أو الوقوع في المشكلات من أساليب تفريغ الطاقة ولكن بطريقة سلبية .

ولذلك يحرص الإسلام على إفراغ النفس من سلبياتها وتحليلتها بأضدادها وبذلك يملأ فراغ النفس بما يدعمها ويطهرها وينقيها ؛ فيستبدل الخوف أمناً ، والكراهية حباً ، وتتبدل النفس الأمارة بنفس لوامة ، تتقبل كل تعديل ، وتسعى لكل تغيير يعود عليها بالنجاح الفلاح ، وعندئذ تبدأ النفس في الرياضة والمجاهدة .

والعلاج الإسلامي يفرغ هذه الطاقة ، ويطلق شحنتها بطريقة إيجابية يحقق فيها الإنسان كيانه ، ويحس بذاته .

والأخصائي الاجتماعي يحاول اتباع نفس الأسلوب مع الأحداث المنحرفين ؛ فهم غالباً ما يعانون من مشاعر الكراهية لأنفسهم وللمجتمع ، فتدفع بهم تلك المشاعر إلى

(١) عبد القادر الجيلاني ، (الغنية) ، (ص ١٨٣) .

الانتقام من المجتمع بارتكاب أساليب السلوك المنحرف التي يسعى الأخصائي الاجتماعي إلى علاجها ؛ ولذلك يعمل على تفريغ تلك الطاقة ، وتخليه النفس من مشاعر الكراهية ، بتوجيهها للشيطان تارة ، ولأعداء الإسلام تارة أخرى ، ولكل سلوك منحرف أو صفات مذمومة أو أخلاق سيئة وبذلك يتحررون من ضغوطها ويستريحون من توتراتها ويستبدلونها بألوان أخرى من المشاعر الإيجابية التي تدعم كيانه وتبني نفوسهم فلا تنحرف ولا يصيبها الاضطراب . وعلى هذا النحو ذاته يفرغ الإسلام الطاقة الحيوية في الجهاد والزرع والإنتاج والتعمير تفريغاً بنائياً إنشائياً ، يهدم الباطل ويزيل ما يخلفه من أنقاض ، ويبني في مكانه الحق والعدل ويعالج بذلك بناء النفس فلا تنحرف ولا يصيبها اضطراب ^(١) .

والأخصائي الاجتماعي الذي يستخدم العلاج الإسلامي لعلاج عملاء الخدمة الاجتماعية فإنه يسير على نفس النهج ويهتدي بترية الإسلام ، ويعمل على إفراغ الطاقة والتنفيس عن المشاعر السلبية منها والإيجابية ، حتى لا تسبب ضغوطاً نفسية ، توترات واضطرابات تدفع العميل إلى إفراغها في ألوان السلوك المنحرف الذي يهيأ له .

ب - شحن الفراغ النفسي :

كما يُفرغ الإسلام طاقة الجسم والنفس كلما تجمعت ، ولا يختزنها دون ضرورة ، فإنه في الوقت ذاته يكره الفراغ ، فالفراغ مفسد للنفس ، إفساد الطاقة المختزنة بلا ضرورة ، وأول مفسد الفراغ هو تبديد الطاقة الحيوية ، لملء الفراغ ، ثم التعود على العادات الضارة التي يقوم بها الإنسان لملء الفراغ ^(٢) والإسلام حريص على تحلية النفس بالأوصاف الحمودة كالحبة ، والشفقة ، والرحمة ، والتسامح ، والإيثار ، والإخلاص ، والصدق في مجاهدة النفس . وكما اهتم العلاج الإسلامي بملء الفراغ الذاتي للإنسان فقد اهتم أيضاً بملء الفراغ البيئي ؛ لأن كلاً منهما يتمم ويكمل الآخر ، ولذلك أوضح لنا بعض أساليب ملء الفراغ عن طريق العبادة ، وذكر الله في القلب ، وغفوة الظهرية في الهاجرة ، السمر البريء مع الأهل والأصحاب ، وزيارة الأقارب ، والمعارف ، والأصدقاء ، والدعابة اللطيفة النظيفة ... إلى آخر أنواع الترويح .

ولكن المهم ألا يوجد في حياة الإنسان فراغ لا يشغله شيء ، أو فراغ يشغله الشر والفساد والتفاهة ، وحين ألغى الإسلام عادات الجاهلين ، وأعيادها ، ومواسمها ، وطرائق

(١) محمد قطب ، مصدر سابق ، (ص ٢٥٣) .

(٢) محمد قطب ، مصدر سابق ، (ص ٢٥٢) .

حياتها لم يترك ذلك فراغاً يتحير المسلمون في ملئه أو يملؤونه دون شعور منهم فيما لا يفيد ، بل جعل لهم في الحال عادات أخرى وأعياد ومواسم وطرائق حياة تملأ الفراغ . وتلك من أنجح الوسائل في تنمية النفس وعلاجها ، وخاصة حين تمنع النفس - لتقويمها - من شيء من رغائبها فالوسيلة الصحيحة لملء فراغ هذه الرغبة هي إيجاد نشاط جديد لهذه الرغبة ذاتها ، أو لرغبة سواها فالنفس من الداخل كلها وثيقة الاتصال ^(١) .

وتحلية النفس بالتوقي ومخافة الله ومحاسبتها وضبط جنوحها وإلزامها بطريق الحق وحفظها عن الآفات والنقائص ، بعد تخليتها من عيوبها ليست بالعملية السهلة على الأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي في تقويم انحراف عملائه ؛ لأنها عملية متصلة بعيوبهم وذنوبهم وسلوكهم الانحرافي والتي غالباً ما تكون مخجلة ومؤلمة ، وكثيراً ما قابلها المجتمع بالعقاب أو التأنيب والتوبيخ ، ولذلك يظهر العميل كثيراً من ألوان المقاومة لعملية التحلية والتحلية ، وعندئذ يبذل الأخصائي الاجتماعي مزيداً من الجهد إلى أن ينجح في تكوين علاقة المحبة والمودة والاحترام المتبادل ، التي تكسبه ثقة العميل كاملة ، فينجح الأخصائي في تحطيم كل ألوان المقاومة ويبدأ في عملية التغيير ، فيشعر بالزمن والطمأنينة بدلاً من الخوف والقلق وهنا ينتهز الأخصائي الاجتماعي الفرصة ليشحن فراغ النفس بعد تحليتها بمفاهيم إيجابية جديدة ، ومبادئ سامية قوية ، وعندئذ تتغير حال النفس وتتطبع بالمثل العليا والأخلاق الفاضلة ، وتسلك طريقاً أكثر أمناً وأعظم أملاً وأكثر سعادة .

ج - التوبة :

التوبة هي الأسلوب الثالث من أساليب الرياضة النفسية بعد عملية إفراغ الطاقة وعملية ملء الفراغ ، حيث يصبح الإنسان في حالة نفسية جيدة تجعله قابلاً للتعديل والتغيير ، ومن هنا يبدأ العلاج الإسلامي عن طريق التوبة .

فهو أسلوب علاجي مضمون يغفر به الله ذنوب من أساء ، وهي أسلوب وقائي مضمون يمنع الإنسان من العودة إلى الذنوب ، وهي رصيد مفتوح لمن يخطئ فيستغفر الله ، فيغفر له ؛ لأن الله يغفر الذنوب جميعاً ؛ لأن الله تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وقد ورد في الحديث الشريف : « التائب حبيب الرحمن ، التائب من الذنب كمن لا ذنب له » والنبي ﷺ كان يستغفر في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة .

وجاء في معنى الحديث الشريف : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » (١) .

ومن ذلك نرى أن التوبة هي الباب المفتوح للعاصين ، كما أنها الدرع الواقى للمؤمنين الصالحين ، وقد ورد ما معناه لو لم تذبوا ، وتستغفروا لذهب الله بكم ، ولأتى بغيركم يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم .

د - الرياضة النفسية بالأضداد :

الرياضة النفسية هي مجاهدة للنفس المريضة بأضدادها وذلك بريضة النفس الشحيحة على الإنفاق ، وإكراه النفس الشهوانية على التعفف ، ودفع النفس الأنانية إلى البذل والتضحية ، وحث النفس المختالة المزهوة على التواضع واستنهاض النفس الكسولة إلى العمل ، وبمعالجة الضدد بالضدد تصل النفس إلى الوسط العدل ، وهو صراط الحكمة وهو حظ الناصحين من البشر .

ولا تتم المجاهدة إلا بالمراقبة ؛ والمراقبة هي : أن يعلم الإنسان أن ربه يطلع على سره وجهره ، وأنه يصل إلى تمام المراقبة إلا بعد المحاسبة ، والمحاسبة عملية ضبط لجنوح النفس والتزام طريق الحق ، وحفظها عن الآفات والنقائص ... (٢) .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي مع العملاء ، يساعدهم على فطام أنفسهم عن كل سلوك منحرف ، وذلك عن طريق التربية الإسلامية في تعاملهم بالأضداد كما سبق ذكره ، وتعلمهم تقوى الله والخوف من عقابه ، ويقوي في نفوسهم الإيمان الذي يجعلهم يوقنون بأن الله مطلع على سرهم وجهرهم ، وعندئذ يعرفون طريق الحق ويصلون إلى درجة المحاسبة . وعندها يتم ضبط جنوح النفس ، ويتم علاج السلوك المنحرف عن طريق رياضة النفس ومجاهدتها .

ويصدق فيها قول الحق ﷻ : ﴿ يَتَّيْنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ ٢٧٠ أَرْجِىْ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿ [الفجر: ٢٧ ، ٢٨] . ولكي ينجح الأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي في علاج الصلاة عن طريق الرياضة النفسية ، فلا بد أن يعلمهم خصال أربعة (٣) :

١ - معرفة الله تعالى : ومعرفة الله لا تقتصر على القول والامتناع والاعتقاد فحسب ،

(١) سنن أبي داود ، باب الإستغفار ، (٨٥/٢) .

(٢) حسن محمد الشرقاوي ، مصدر سابق ، (ص ٢٥٢) .

(٣) حسن محمد الشرقاوي ، نفس المصدر ، (ص ٢٥٢ ، ٢٥٣) .

بل الإيمان قولاً وفعلاً أن لا إله إلا الله وهذا هو ذروة التوحيد .

٢ - معرفة عدو الله إبليس : وتصدق معرفة الإنسان لعدو الله وعدوه إبليس بمحاربته في الظاهر والباطن ، ومخالفة كل خاطر شيطاني ، يهجم على النفس ، والتعوذ الدائم من وسوسة الشيطان وتهاويله وأباطيله ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر : ٦] .

٣ - معرفة النفس الأمارة بالسوء : لقد تعلمنا من القرآن الكريم أن النفس أمارة بالسوء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ إِنَّ رَبِّيْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٣] ، وكل نفس لها أمني تود تحقيقها ، وشهوات لا تشبع منها ، وآمال في الدنيا لا تنتهي والعملاء المنحرفون قد أطاعوا أنفسهم الأمارة بالسوء ولم يستطيعوا مجاهدتها ؛ لأنهم مازالوا يعانون من شتى الضغوط الداخلية والخارجية وينقصهم النضج وفي حاجة إلى التربية الإسلامية ، وعندما لم يجدوها ضلوا وانحرفوا .

ولهذا فإن الأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي يحاول إعادة تربيتهم واستكمال تنميتهم عن طريق التربية الإسلامية التي لم يتعلموها أو يسمعوها منها من قبل ، والتربية الإسلامية قادرة على إصلاح ما فسد ، وقادرة على تعليمهم كيف يجاهدون أنفسهم وكيف يعرفون أنها أمارة بالسوء وعندئذ يخالفونها في كل ما تهوى ويجاهدونها بالتقوى والخوف من الله ، بعد أن عرفوا الله حق المعرفة ، وعرفوا عدو الله وعدوهم إبليس الذي زين لهم انحرافهم ، عرفوا النفس بدوافعها وشهواتها ، وعندئذ اتجهوا إلى رياضتها ومجاهدتها .

٤ - معرفة العمل لله تعالى : إن الدين الإسلامي دين يقوم على علاقة متينة بين الإنسان وربّه خالق الأكوان ، وهو دين يطالبنا بالأعمال الصالحة التي يرضاها الله ، كما يطالبنا أن نوجه كل سلوكنا وغرائزنا وحياتنا توجيهاً يحقق الآداب والتشريعات الإلهية تحقيقاً عملياً .

ذلك أن الكائن البشري مكون من روح وجسد والإسلام أقام توازناً بين الروح والجسد ، بين الواقع البشري الاجتماعي ، والأهداف والتشريعات الإلهية في وقت معاً . لذلك كان لأعمال الإنسان المكانة الأولى في نجاته من عقاب الله يوم الحساب ^(١) ، ولذلك اهتم الإسلام بالعمل ؛ لأنه مجاهدة للنفس وجهاد أكبر في سبيل الله : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَیْ اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] ، كما قال ﷺ : ﴿ وَلِكُلِّ

(١) عبد الرحمن النحلوي ، مرجع سابق ، (ص ٢١٦) .

دَرَجَتْ مِمَّا عَمِلُوا ﴿ [الأنعام: ١٣٢] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠] ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧ ، ٨] ، ولقد ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة للعمل والجهاد تطبيقاً لمبادئ الإسلام وتحقيقاً لأحكامه .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي في علاج عملاء الخدمة الاجتماعية يعلمهم كيف يوجهون سلوكهم وأعمالهم وغرائزهم ، توجيهاً يحقق الآداب الإلهية تحقيقاً عملياً ، ويؤكد لهم قيمة الأعمال الصالحة وما لها من مكانة في حق الإنسان من عقاب الله ؛ حيث إن العمل الإنساني هو عمل الخير الدنيا والآخرة ، ويحثهم على أن يعمل كل منهم للآخرة كأنه يموت غداً ، كما يعمل كل منهم لدنياء كأنه يعيش أبداً ؛ وعندئذ يهجرون السلوك المنحرف ، ويتوبون عن الإثم والمعصية ، وتعالج مشكلاتهم ، ويقبلون على عمل الخير ، ويكون عملهم خالصاً لله تعالى .

ولذلك يجب أن تكون الرياضة النفسية نابعة من المعرفة ؛ معرفة الله تعالى ، ومعرفة عدوه إبليس ، ومعرفة النفس الأمارة بالسوء ، ومعرفة للعمل لله تعالى ، وهو الجهاد الأكبر في سبيله .

وإذا استطاع الأخصائي الاجتماعي تعليم العملاء ، وخاصة الأحداث المنحرفين تلك الصفات الطيبة ؛ فسينجح في تقويم انحرافهم ، وتعديل سلوكهم ، ولكي ينجح في ذلك ؛ فلا بد أن يكون القدوة الحسنة أمامهم ؛ لأن ما ينشر به الأحداث يتقمصونه من القدوة الحسنة ، أكثر تأثيراً وثباتاً مما يسمعون به بالقول ، ولا بد من تدعيم القول بالفعل ، بذلك يعينهم على رياضة النفس ومجاهدتها .

العلاج الإسلامي بالتنمية البدنية

إن التربية الإسلامية لا تنسى تقوية البدن وتنميته حتى توجه هذه الطاقات والقدرات نحو خير الإنسان وخير المجتمع ؛ وذلك استكمالاً للتنمية العقلية التي أولتها اهتماماً كبيراً ، حتى تربي الإنسان المؤمن الناضج ، العقل السليم التفكير ، ولكن هل يصح العقل إذا اعتل الجسد ؟ بالطبع لن يحدث ذلك ؛ لأن العقل السليم في الجسم السليم .

وقد عنت الشريعة الإسلامية بكل ما يكفل للإنسان قوة الجسم ، وقوة الروح ؛ ففرضت العبادات ، وفرضت التذكر والتدبر في ملكوت السموات والأرض ، وفرضت النظر والاعتبار بسنن الله في الكائنات ، وكان في ذلك كله تصفية الروح من أخلاق الهلع

والجزع واليأس ، والجن ، والشح ، وما إلى ذلك من الأخلاق الرديئة التي تؤدي بعزة النفس وسعادتها ، وجمال الروح وحلاوتها ، وكان فيه غرس الأخلاق الفاضلة من الصبر والمصابرة ، ورباطة الجأش والتعاون وقوة الإيمان ، والتي تدفع بالإنسان إلى عمل الخير والركون إلى جانب التقوى .

ولم تكن عناية الشريعة الإسلامية بما يحفظ على الإنسان قوة بدنه ، بأقل من عنايتها بما يحفظ عليه قوة روحه ، فقد أمرت بنظافة الجسم واعتدال المأكل والمشرب ، وطيب المسكن والهواء ، وأمرت بالعلاج عند المرض ، وبالوقاية للمرض (١) .

ثم لم تخل الإرشادات الواردة في أقوال الرسول ﷺ عن لفت الأنظار إلى أنواع الرياضة البدنية ، وقد صح أن النبي ﷺ بأمر بعض تلك الأنواع بنفسه .

ومن الأنواع التي لفت الرسول ﷺ إليها الأنظار ما يلي :

أولاً : الرياضة بالرمي : وبه فسر النبي ﷺ القوة المأمور بإعدادها في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، وقال ﷺ : « ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » وكرر النبي عباراته للترغيب في تعليم الرمي .

ثانياً : الرياضة بالسباحة : وقد روي أيضاً أنه ﷺ قال : « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي » فالكتابة طريق العلم والمعرفة ، والسباحة طريق الصحة والعافية ، والرمية طريق القوة والنصر على الأعداء .

ثالثاً : الرياضة بالعدو (الجري) والمصارعة : كما أوصى ﷺ بالرمي والسباحة ، فقد ورد أن النبي ﷺ كما يرى أصحابه يتسابقون على الأقدام (الجري) ويقرهم عليه ، وقد صح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت : سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، ثم سابقني فسبقني ، فقال : « هذه بتلك » ، وروي أن النبي ﷺ صارع رجلاً معروفاً بالشدة فصرعه النبي ﷺ ، فقال : عاودني في أخرى فصرعه النبي ﷺ في الثانية ، فقال : عاودني ، فصرعه النبي ﷺ في الثالثة ، فقال الرجل : ما أقول لأهلي ؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشزت ، فماذا أقول في الثالثة ؟ فقال النبي ﷺ : « ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ، فغرمك ﷺ خذ غنمك وانصرف » .

رابعاً : رياضة المبارزة : عن أبي هريرة أنه قال : بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحراهم ، دخل عمر ، فأهوى إلى الحصباء ، فحصبهم بها ، فقال رسول الله ﷺ ؛

(١) محمود شلتوت « توجيهات الإسلام » مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الأولى ، (١٩٧٧ م) .

« دعهـم يا عمر » وقد قال العلماء : (اللعب بالحراب ، فيه تدريب للشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو) .

خامسًا : الرياضة بركوب الخيل : وقد نوه القرآن بالخيل وذكر رباطها في إعداد القوة للجهاد ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وصح أن النبي ﷺ سبق بين الخيل وأعطى السابق ، وأنه كان يسابق على ناقته العضباء وكانت لا تسبق .

وإذا كان وضع الرياضة البدنية في نظر الإسلام بهذه المكانة ، وقد نظمت في عهدنا الحاضر هذا التنظيم الذي نشاهده ، حتى سهل على الإنسان أن ينتفع بها وهو في بيته ، فجدير بالإنسان أن يحرص عليها لنفسه ولأبنائه ، وأن يقوموا بها في وقتها فينعـموا بقوة الجسم ، وقوة الروح ، وبذلك يأخذون إلى السعادة طريقًا وإلى الخير سبيلًا ، فالترية البدنية مكملـة لأساليب الترية الأخرى .

وعندما يحاول الأخصائي الاجتماعي تطبيق العلاج الإسلامي على الأحداث المنحرفين ، فإنه يمارس معهم أساليب الترية الإسلامية المتعددة ، ومنها الترية البدنية . ولذلك يهتم الأخصائي الاجتماعي بالتنمية الجسمية للعملاء ، ويساعد على الاستمتاع بالرياضة البدنية لما لها من أثر عظيم في تقوية الجسم ومناعته ، كما أن الرياضة الروحية أثر عظيم في قوة الروح وعزيمتها .

وكما يستعين الأخصائي الاجتماعي بالخبراء والمختصين في تنمية العقيدة الدينية والصحية والنفسية ، فإنه يستعين أيضًا بالخبراء والمختصين في التنمية البدنية حتى يدرب العملاء على أنواع الرياضة المختلفة ، بما يناسب أعمارهم وميولهم واستعدادهم ، وبذلك يشغل فراغهم في أنشطة نافعة ومفيدة يصممها خصيصًا لتحقيق أهدافه العلاجية ، وعن طريقها يعلم العملاء الكثير من العادات الطيبة والاتجاهات الصالحة ، ويث فيهم القيم المختلفة .

وأخيرًا نقول : إن الخدمة الاجتماعية بأساليبها العلاجية التقليدية المستوردة من الغرب ، لم تؤت بالنتائج المطلوبة في علاج المشكلات الاجتماعية وخاصة مشكلات الطفولة ؛ ولذلك اتجهت إلى الترية الإسلامية وآمنت بأنها طريق الخلاص وسبيل النجاة لكل مشكلات المجتمع ، كما أنها تشتمل على الوقاية والعلاج لما تعانيه الإنسانية اليوم من ضياع الطفولة . وكما فشلت الترية الحديثة في ترية الأجيال ، وفشلت الخدمة

الاجتماعية بأساليبها الغربية المستوردة في علاج مشكلاتهم ، ولم تجد بداً من البحث عن بديل عنها .

وقد وجدت الخدمة الاجتماعية أن العلاج الإسلامي هو البديل الوحيد ، والدواء الناجح ، والبلسم الشافي لجميع أنواع المشكلات التي يعاني منها المجتمع ، والعلاج الإسلامي يقدم لنا منهجاً تربوياً متكاملًا وأسلوبًا علاجيًا صالحًا لعلاج كل مشكلات الخدمة الاجتماعية ، لذلك فآمنت به ، وسارت في طريقه ، واهتدت بهديه ، واقتنعت بتأثيره ، شمرت عن ساعديها ، وقامت تحاول تطبيقه ، وتلك هي المحاولة الأولى لتطبيقه في علاج الأحداث المنحرفين ^(١) .

ثانيًا : العلاج البيئي الإسلامي

اهتم العلاج الإسلامي أيضًا ببيئة الإنسان ، سواء كانت بيئة داخلية متمثلة في الأسرة أو بيئة خارجية متمثلة في كل الجوانب البيئية المحيطة بالإنسان وأسرته ، والتي يمكن التأثير فيها والاستعانة بها بما يساعد على نجاح أساليب العلاج الإسلامي البيئي .

العلاج الإسلامي البيئي يمكن عرضه كما يلي :

١ - البيئة الخارجية :

إن الأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي في المؤسسات الاجتماعية مع عملائه ، يهتدي بعلاج « المنهج القرآني الذي لم يغفل أثر البيئة ، وما تتركه في النفس من انطباعات وانفعالات ، إنها المدرسة الحقيقية التي يأخذ عنها الإنسان عاداته وتقاليده ، وأن البيئة الفاسدة تدعو إلى الفساد وتجبر إلى الهلاك ، وأن الإنسان - لضعفه - يندر أن يقاوم عوامل الفتنة والإغراء ، ومن الصعب تكليفه بالاعتدال » ^(٢) ؛ ولذلك أراد المنهج القرآني - وهو يربي خير أمة أخرجت للناس - أن توجد البيئة المناسبة لإخراج هذه الأمة وأن ييسر لها الطريق ، وبذلك لها عقباته ، ولم يفرض عليها ما فرض من حدود إلا بعد أن أصلح لها ما حولها وسد عليها أبواب الشهوات . وهذه البيئة التي أنشأها القرآن والتي تمثلت في المجتمع الإسلامي الأول هي الهواء النقي الذي يستنشق المسلم فيه عبير الحياة فيحس بالنشوة والارتياح ، فهو حيثما سار وأينما نظر لا يجد إلا

(١) انظر : العلاج الإسلامي لانحراف الأحداث للمؤلف ، مرجع سابق ذكره .

(٢) عبد الفتاح عاشور ، منهج القرآن في تربية المجتمع ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، (١٩٧٩ م) ، (ص ٢٦٦) .

دوافع الطهر ودواعي العفة .

ولا نجاة للإنسان إلا إذا عاد لمنهج القرآن ، وخلق البيئة الصالحة التي تنبت فيها الأخلاق الكريمة ^(١) .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي يعرف جيداً أن البيئة هي السبب الرئيسي في انحراف الأحداث وهي المؤثر الرئيسي في علاجهم ، ولذلك فهو يحاول تعديل البيئة المحيطة بهؤلاء الأحداث حتى تصبح بيئة نظيفة خالية من المؤثرات التي تسبب الانحراف سواء كانت بيئة داخلية مثل الأسرة أو بيئة خارجية مثل المجتمع والعمل والمدرسة والمؤسسة ... إلخ من المؤثرات البيئية ، وكذلك كل المشكلات التي يعاني منها العملاء لا تخلو من تلك المؤثرات .

والمؤلف يرى تصنيف ألوان العلاج البيئي الإسلامي - الذي يصلح ممارسته في علاج عملاء الخدمة الاجتماعية - كما يلي :

أولاً : البيئة الخارجية :

١ - العلاج الإسلامي عن طريق المسجد : كان المسجد أول مؤسسة أنشأها رسول الله ﷺ في تنظيمات المجتمع الجديد بعد الهجرة ، تعمل في بناء الحياة الإسلامية المطهرة على أسس التوجيه السماوي رابطاً عن طريقها دنيا الناس بآخرتهم ، فأصبح المسجد مركز الإشعاع الذي يزود الأفراد بالمفاهيم الصحيحة لحقائق الحياة ، فيعرفون الحلال والحرام ، والحق والواجب ، والمباح والمحظورات ، وما يستحسن وما يستهجن ، ثم أنه مركز التدريب على تحقيق معاني الإسلام فتتلاقى فيه الجماعة من الناس فتتعرف قلوبهم ، وأجسامهم ، وتتقارب مستوياتهم ؛ إذ يجد الضعيف نفسه بجانب القوي ، والحاكم بجانب المحكوم ، والفقير على قدم المساواة مع الغني فلا يلبثون أن تمتلئ نفوسهم بشعور الوحدة التي تفتت الفوارق ، حتى يستيقنوا أنهم كتلة متضامنة كل جزء منها لخدمة الكل وبذلك تتلاشى من نفوسهم أية مكانات أو اختلافات أو فوارق كانت موجودة ومؤثرة خارج المسجد .

والمسلم الذي يرتبط قلبه بالمسجد يعتبره نقطة الانطلاق الأولى في طريق الحياة الأبدية ، منها يبدأ سعيه إلى الآخرة وهو مطمئن ؛ لأنه سار في الطريق الذي لا يضل سالكوه .

(١) عبد الفتاح عاشور ، منهج القرآن في تربية المجتمع ، مصدر سابق ، (ص ٢٧١) .

لهذا كله يستعين الأخصائي الاجتماعي الذي يمارس العلاج الإسلامي مع العملاء بالمسجد كوسيلة علاجية مهمة من وسائل العلاج البيئي الإسلامي ، حيث إنه من أعظم المؤثرات التنموية في نفوس العملاء ، ففيه يرون الراشدين مجتمعين على الله ، فينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم ، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية ، وفيه يسمعون الخطب والدروس العملية ، فيبدأون بوعي العقيدة الإسلامية ، وفهم هدفهم من الحياة ، وما أعده الله لهم في الدنيا والآخرة ، وفيه يتعلمون القرآن ويرتلونه ، فيجمعون بين النمو الفكري والحضاري والنمو الروحي وهو الارتباط بخالقهم .

وفيه يتعلمون الحديث والفقه ، وكل ما يحتاجون من نظم الحياة الاجتماعية ، كما أراد الله أن ينظمها للإنسان ، ومن هداية الله سنة رسوله ﷺ (١) .

وعندئذ يتعودون على المسجد ، ويستشعرون بنور الإيمان يملأ قلوبهم ، فتصفوا نفوسهم ، وتستيقظ ضمائرهم ، ويتعلمون طاعة الله وتحقيق شريعته وعدالته ورحمته بين البشر . وهكذا نربي العملاء في المسجد في ظل مجتمع إسلامي رباه القرآن وهذبته الإسلام ، فيعرف طريقه المستقيم ، ويتحرر من وسوسة الشيطان الرجيم ، ويرتبط بطاعة الرحمن الرحيم ، الغفور الكريم وعندئذ يتعدل سلوكهم وتُعالج مشكلاتهم ويصبح كلُّ منهم قادراً على أداء وظائفه الاجتماعية بما يرضي الله ويرضي رسوله ﷺ .

والأخصائي الاجتماعي الذي يعالج عملاء الخدمة الاجتماعية بالعلاج الإسلامي عن طريق المسجد يحرص دائماً على مصاحبتهم في كل أوقات الصلاة إلى المسجد وخاصة يوم الجمعة وفي المناسبات الدينية المختلفة ، ويشرح لهم باستمرار ما يصعب عليهم فهمه ، ويعمل على توعيتهم التوعية الدينية السليمة التي تحببهم في المسجد وترتبطهم به ، فيستقيم تفكيرهم ، ويقوي ضميرهم ، وتنشط إرادتهم فيسهل تقويم انحرافهم ، وتعديل سلوكهم ، وعلاج مشكلاتهم .

٢ - العلاج الإسلامي البيئي عن طريق المدرسة : إن الوظيفة الأساسية للمدرسة في نظر الإسلام هي تحقيق التربية الإسلامية بأسسها العقيدية والتشريعية وبأهدافها ، وعلى رأسها هدف عبادة الله وتوحيده والخضوع لأوامره وشريعته أو تنمية كل مواهب النشء وقدراته على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، أي صون هذه الفطرة من الزلل والانحراف ، حذراً مما حذرنا من رسول الله ﷺ عندما قال : « كل مولود يولد على

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، نفس المصدر ، (ص ١٢١) .

الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وأراد بذلك أن يحذر المربين من انحراف الناشئ عن فطرته ^(١) ، مما يساعد على المحافظة على سلامة فطرتهم وتزكيتها وحفظها من الانحراف ، وذلك عن طريق خطة علاجية تتطلبه التربية الإسلامية يتطبع بطباعها ، ويتصف بأهم صفاتها ومميزاتها ويحقق أهدافها ، ويبنى على أسسها وتصوراتها الفكرية عن الكون والحياة والإنسان على أن يكون في تربيته وموضوعاته موافقاً للفطرة الإنسانية ، يعمل على حفظها وحمايتها من الانحراف ، وأن يكون محققاً لهدف التربية الإسلامية الأساسي ؛ وهو إخلاص الطاعة لله وعبادته ولجميع أهدافها الفرعية التي ترمي إلى تقويم الحياة ، وتوجيهها لتحقيق هذا الهدف في جميع جوانب الثقافة والتربية ، التي وضع خطة لعلاجها لتعدها والنهوض بها ؛ كالجانب العقلي ، والجانب الجسدي ، والجانب النفسي ، والجانب الاجتماعي ؛ على أن يراعي في تطبيق العلاج وأنشطته وأمثلته ؛ ونصوصه حاجات المجتمع الواقعية والمعاشية ومنطلقاته الإسلامية المثالية ؛ كالاعتزاز بالأمة الإسلامية والولاء لها وذلك بتحقيق الولاء لله ، والطاعة لرسوله الذي أرسله الله ليطاع بإذن الله ، ومراعاة الاختصاصات التي تحتاجها الأمة الإسلامية في كل بقعة بحسب ظروفها الطبيعية التي يسرها الله ، على أن يكون منهجاً واقعياً ممكن التطبيق ، وأن يكون مرناً في أسلوبه يمكن تكيفه مع مختلف الظروف حتى يصبح فعالاً ، يعطي نتائج التنمية ويترك آثاره في نفوس الأجيال ، بما يمتاز به من أساليب علاجية سليمة بعيدة الأثر ، ونشاطات إسلامية عظيمة الأثر ، سهلة المنال والتطبيق ، وأن يكون جزءاً منه مناسباً للمرحلة التي يوضع لها من مراحل أعمار العملاء .

الأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي في علاج عملائه من التلاميذ ، فإنه يعرف أن الكثير منهم مقيدون في مدارس مختلفة ؛ ولكنهم تعثروا فيها ؛ ولذلك من واجبه تجاههم هو المساعدة على الانتظام بالمدرسة ، حتى تصبح المدرسة المكان المناسب للاستفادة من الخبرة التعليمية ، وحتى تصبح بيئة محبة للتلاميذ ، وعندئذ يحضرون إليها ، وهم في شوق إليها ومحبة لها .

ومن الممكن أيضاً أن يخطط الأخصائي الاجتماعي لبعض الندوات والمحاضرات الدينية بالمدرسة يدعو إليها بعض المتخصصين من رجال الدين ؛ بحيث تختار موضوعاتها وتوجه لتحقيق أهداف الخطة العلاجية التي يسعى الأخصائي الاجتماعي لتحقيقها .

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، مصدر سابق ، (ص ١٣٤) .

كما يستطيع الأخصائي الاجتماعي أن يتفق مع مدرس اللغة العربية على بعض الأنشطة والبرامج الثقافية التي تخدم أهداف العلاج الإسلامي ، مثل تنظيم زيارات للمكتبة المدرسية بمرافقة مدرس اللغة العربية أو مدرس التربية الدينية الذي يساعدهم على اختيار الكتب ، والموضوعات المناسبة للعلاج الإسلامي ، ويقوم بتفسير وتوضيح ما يصعب عليهم ، ولأمانع من اختيار بعض التمثيليات الدينية ، والتدريب عليها وممارستها على أن ترسم الأدوار لكل حدث بما يناسب نوعية المشكلة ، ونوعية خطتها العلاجية ، أو يختار لهم مجموعة من القصص التي تصلح للتربية الدينية يعدها الأخصائي ، ويختارها بالاشتراك مع مدرس اللغة العربية أو مدرس التربية الدينية حيث إن القصة تعتبر من الأساليب التربوية المهمة المؤثرة في نجاح العلاج الإسلامي .

كما يستطيع الأخصائي الاجتماعي استغلال مسجد المدرسة ؛ ليعود الأحداث على ممارسة العبادات المختلفة ؛ مثل الصلاة في المسجد مع جماعة من الطلاب ، مع توضيح مميزاتها الدينية ، ويرشدهم إلى كيفية الاستفادة منها في تكوين بعض العادات والقيم الصالحة .

كما يوضح لهم الأخصائي الاجتماعي كيف يستعد العميل لدخول المسجد عن طريق الوضوء الحسن ، ويعرفهم الحكمة العظيمة من وراء الوضوء ؛ لأن الكثير منهم يظن الوضوء نظافة صحية فقط ، ويغفل عن أنها نظافة روحية أيضاً ، فغسل اليدين تنظيف لها من الأوساخ ، وتنظيف لها من الذنوب التي ارتكبتها ، وتذكير لصاحبها بعدم ارتكابها مرة ثانية .

٣ - العلاج الإسلامي البيئي عن طريق العمل : إن الأخصائي الاجتماعي الذي

يمارس العلاج الإسلامي مع عملائه عندما يحاول الاستفادة من المدرسة كبيئة خارجية في تعديل السلوك ، فإنه يقابل بعض أحداث العملاء الذين لا يذهبون إلى المدرسة بعد أن فشلوا فيها ، وبالتالي التحقوا ببعض الأعمال ، سواء كانت هذه الأعمال تناسبهم أو لا تناسبهم ، عندئذ يصبح دور الأخصائي الاجتماعي أولاً تعديل بيئة العمل ، بما يناسب قدرات وميول واتجاهات هؤلاء العملاء ، بحيث يتم وضع كل واحد منهم في العمل الذي يناسبه ، ثم يساعدهم على الحصول على الأجر المناسب ، ويشجعهم ويحثهم على الأمانة والإخلاص والأداء الطيب للعمل ، ويذكرهم باستمرار بقول الرسول ﷺ : « الدين المعاملة » ويطالبهم بتنفيذ تعاليم التربية الإسلامية التي تقول : « من أخذ الأجر حاسبه الله على العمل » .

أما الفئة التي لا تجيد أي عمل وفشلت أيضًا في المدرسة ، فالأخصائي يحاول تدريبهم مهنيًا في ورش المؤسسة أو في الورش الخارجية على الأعمال والمهن التي يميلون إليها والتي تناسب مع قدراتهم ومهاراتهم ، ويقف بجانبهم في كل ذلك موجهًا ومشجعًا ومساعدًا ومعينًا ، إلى أن يتقن كل منهم الحرفة المناسبة ، وعندئذ يصبحون قادرين على الاعتماد على أنفسهم في الإنفاق والمعيشة ، وبذلك يجنبهم أهم عامل من عوامل الانحراف .

كما يحرص الأخصائي الاجتماعي أيضًا على أن يحصلوا على وقت كاف للراحة بالإضافة إلى الحصول على الأغذية المناسبة ، كما يساعدهم على الاستمتاع بوقت الفراغ بالطريقة المفيدة ، وبذلك يغلق أمامهم أبواب الانحراف بابًا بعد الآخر ، إلى أن يصل في النهاية إلى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم وعلاج مشكلاتهم ويصبح كل منهم إنسانًا صالحًا ، يتمتع بشخصية ناضجة ، كما يريده له العلاج الإسلامي أن يكون .

والعلاج الإسلامي عندما يسعى إلى إعداد الإنسان الصالح ، لا يترك الناس خيارًا يتخبطون ، كل منهم يرسم الصورة على هواه ، وإنما يحدد لهم مواصفات هذا الإنسان في دقة ووضوح ويتضح أمامهم المنهج الإسلامي الذي يصلون به إلى تحقيق تلك الغاية ، ومواصفات هذا الإنسان تتجمع في كلمة واحدة وهي التقوى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ﴾ [الحجرات : ١٣] ، والإنسان التقي هو الذي يعبد الله ويهتدي إليه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ولكن العبادة ليست مقصورة على المناسك التعبدية المحدودة ، وإنما هي شاملة وواسعة جدًا ، بحيث تشمل دقائق الحياة وتفصيلاتها ، وتشمل كل عمل وكل فكرة وكل شعور ؛ وهي التوجه بكل نشاط حيوي إلى الله ومراعاة ما يرضي الله في هذا النشاط ، وما يغضبه ، وتوقّي غضبه ويعمل على رضاه ، وبذلك يصل العلاج الإسلامي بالإنسان إلى إنسان تقي يعبد الله ويهتدي بهداه ؛ ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٣٨] ، بحيث يستمد هذا الإنسان من هذا الهدى منهج حياته ومنهج شعوره ومنهج سلوكه ، ولا يتلقى من مصدر سواه ^(١) .

٤ - العلاج الإسلامي البيئي باستغلال إمكانيات المؤسسة : المؤسسة هي المكان الذي تم إعداده لعلاج عملاء الخدمة الاجتماعية والتي يمارس فيه الأخصائي الاجتماعي عمله

(١) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، (ص ١٥) .

مستعينًا بشتى الإمكانيات والوسائل التي تساعد على تحقيق أهداف وفلسفة المؤسسة .
والمؤسسة كإحدى عناصر البيئة الخارجية يستغلها الأخصائي الاجتماعي الذي يمارس
العلاج الإسلامي ، فعن طريقها يستطيع تصميم وتنفيذ الكثير من الأنشطة والبرامج
المختلفة التي تحقق له أهداف الخطة العلاجية .

وهذه الأنشطة والبرامج تتكون من أنشطة ثقافية مثل المكتبة التي يحرص الأخصائي
على تدعيمها بالعديد من الكتب الدينية المبسطة التي تتناسب مع أعمار وثقافة العملاء
ومستوى تفكيرهم مثل قصص الأنبياء والرسل ، حيث إن القصة من أنجح الأساليب
التي تستخدم في التربية الإسلامية ، حيث إنها تتعامل مع النفس البشرية في واقعيتها
وخاصة وأن القصة القرآنية جاءت علاجها لواقع البشر ، وعلاج الواقع البشري لا يتم
إلا بذكر جانب الضعف والخطأ في طبيعته ، ثم يوصف الجانب الواقعي المتسامي الذي
يمثله الرسل المؤمنون ، الذي تنتهي به القصة بعد الصبر والمكابرة والجهاد والذي ينتهي
عنده علاج النقص البشري علاجًا ينهض بالهمم ، ويدفع النفس للسمو والتأمل بما فيه
من محاورات فكرية ينتصر فيها الحق ، ويصبح مرموقًا محفوفًا بالحوادث والنتائج التي
تثبت صحته وعظمته في النفس وأثره في المجتمع .

وعلى نفس المنوال يستغل الأخصائي الاجتماعي بقية ألوان الأنشطة الثقافية ، سواء
كانت ندوات دينية أو محاضرات قيمة التركيز فيها على التربية الإسلامية ، بضرب
الأمثال أو عن طريق الموعظة التي تربي عند العملاء الأخلاق السامية والعواطف الربانية ،
كما يمكن تحقيق نفس الأهداف عن طريق الحفلات والمسابقات الدينية وبرامج الإذاعة
الموجودة بالمؤسسة أو التمثيليات التي تصمم بصورة خاصة تتناسب مع أهداف العلاج
الإسلامي . وبذلك يجعل الأخصائي الاجتماعي من المؤسسة بيئةً صالحةً لتحقيق
أهداف خطة العلاج .

أما النشاط الاجتماعي داخل المؤسسة ، فمن الممكن استغلاله أيضًا في العلاج
الإسلامي عن طريق الرحلات إلى الأماكن الدينية أو الأماكن التي يرى فيها العملاء
عظمة الله وقدرته .

كما أن النشاط الاجتماعي يشتمل أيضًا التزاور في المناسبات ، وحضور
الاجتماعات الدينية ، والقيام ببعض الحفلات فيها حتى يشعر الأحداث فيها بالبهجة
والسرور عن طريق البرامج المخططة خصيصًا لذلك ، وبما لا يجعل أيام بقائهم بالمؤسسة

تمر عبثاً ولهواً ، وإنما جعلها أيام فرح وشكر وعبادة ، وقد حدد الإسلام أيام الأعياد والمناسبات الدينية ومظاهرها ، ولم يجعل من حق الناس أن يبتكروا لهم أعياد يصبغون عليها صبغة دينية ويحيون ليايها وأيامها بعبارات يلتزمون بها من تلقاء أنفسهم على أنها من وجوه القربى إلى الله ، وبذلك يكون العيد في الإسلام وصفاً إلهياً لا يملك الإنسان فيه حق التغيير والتبديل .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي يحاول الاستفادة من إحياء هذه المناسبات والذكريات بالصورة التي تربي في نفوس الأحداث عقيدة وعبادة وقدوة واهتداءً ، وبذلك يقوي إيمانهم ، ويثقل جذوته فتلتهم الجوارح ، وتبذل الأنفس ، وتصبح التربية الإسلامية ماثلة في كل شيء ، في أقوالهم إذا انطقوا ، وفي حركاتهم إذا تحركوا ، وفي سكوتهم إذا سكتوا ، وفي جميع شؤونهم الفردية والاجتماعية ، والسرية والعلنية ، والدنيوية والأخروية ، أساسها هذا النور المبين الذي جاء به محمد عن ربه فكان دستور الحياة ، وبنوع العزة والقوة والسعادة ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩] .

أما الأنشطة الرياضية ، التي تُصمم وتنفذ ليمارسها العملاء داخل المؤسسة أو خارجها فإنه يُراعى مناسبتها لخطة العلاج الإسلامي بحيث تربي فيهم روح التعاون والمحبة وتكسبهم الكثير من المهارات والخبرات التي تصنع منهم الرجال الأقوياء والأسياء ، وعن طريق تلك الأنشطة الرياضية يستطيع الأخصائي الاجتماعي امتصاص الطاقات الزائدة لديهم ، وإفراغ مشاعر العدوان التي تضغط عليهم بحيث تتم بطريقة إيجابية تعود عليهم بالفوائد الكثيرة ، بدلاً من إفراغها بطريقة سلبية عن طريق الانحراف والضياع .

وهكذا تصبح المؤسسة مكاناً صالحاً وبيئة مناسبة لتطبيق العلاج الإسلامي مع العملاء ، وبذلك ينجح الأخصائي الاجتماعي في تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم بعد أن غيرت التربية الإسلامية في كثير من طباعهم وصفاتهم ، فقد بدلت خوفهم أمناً ، وكرهيتهم حباً ، وانحرافهم استقامة ، بعد أن وضعوا أقدامهم على الطريق المستقيم ، فامتألت قلوبهم بالإيمان وطهرت العبادات نفوسهم ، وأثار القرآن صدورهم .

٥ - أساليب أخرى للعلاج الإسلامي البيئي : ومن المؤثرات البيئية الأخرى التي يتم الأخصائي الاجتماعي باستغلالها في العلاج الإسلامي هم الأصدقاء ، حيث إن لهم تأثيراً مزدوجاً على العملاء ، فهم يتأثرون بهم في القول مرة وفي المحاكاة مرة أخرى ، وشر بلاء ينزل بالإنسان أن يكون له صديق سوء ، يسلم له زمامه ، ويكون قدوته وإمامه .

كما أن الأخصائي الاجتماعي يدرك جيداً أن شغل أوقات الفراغ بصورة إيجابية وبطريقة مخططة يساعد كثيراً في علاج العملاء وفي تعديل سلوكهم وكذلك يخطط وينفذ معهم لكثير من الأنشطة المناسبة لشغل وقت الفراغ ، وكل الأنشطة السابق ذكرها تصلح لتحقيق هذا الهدف ؛ لأن الأحداث المنحرفين لو وجدوا من البداية ما يشغل فراغهم ويستغله بصورة إيجابية ، ما تعرضوا للانحراف ؛ لأن السلوك المنحرف للأحداث المنحرفين ، ما هو إلا شغل لوقت الفراغ بطريقة سلبية .

وهكذا تصبح البيئة الخارجية بكل مكوناتها المختلفة بيئة ، صالحة ومناسبة لممارسة العلاج الإسلامي البيئي للعملاء وينجح الأخصائي الاجتماعي عندئذ في تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم وعلاج مشكلاتهم .

وبعد ذلك يأتي دور العلاج الإسلامي للبيئة الداخلية وهي الأسرة .

ثانيًا : البيئة الداخلية (والأسرة) :

الأسرة : « التنظيم الاجتماعي الذي يقام عليه نظام الأمة كلها ، وهي المحضن الرئيسي للأجيال الناشئة ، والخلية الأولى في البناء الاجتماعي . وكذلك نرى أن كتاب الله الخالد يفيض شرحاً وتفصيلاً وهدايةً في كل شأن له علاقة بالأسرة ، ويتقهما على الوضوح الكامل حتى لا يدع مكاناً فيها للتصدع ، ولا يترك ثغرةً يمكن أن ينفذ منها أحدًا لهدم هذا الأساس .

ومثل هذا الإسهاب في بيان أمور الأسرة دليل على أهمية هذا الكيان الأسري ووضعه في المكان اللائق به ، وذلك أنه أساس البناء كله ، فإذا ما تطرق إليه الخلل والوهن هدى البناء وضاعت معالمه » (١) .

والأسرة المسلمة هي التي تحافظ على تحقيق شرع الله ومواصفاته في شؤونها وعلاقاتها الزوجية ، وهذا معناه إقامة البيت المسلم الذي يبنى حياته على تحقيق عبادة الله ، أي على تحقيق الهدف الأسمى للتربية الإسلامية ، وبذلك ينشأ الطفل ويتربع في بيت أقيم على تقوى الله ورغبة في إقامة حدود الله ، وتحكيم شريعته ، فيتعلم ، بل يقتدي ويمتص عادات أبويه بالتقليد ، ويقتنع بعقيدة الإسلام حين يصبح واعياً .

والأسرة المسلمة هي التي توفر لأبنائها كل احتياجاتهم وتشبعها لهم وتحقق لهم السكون النفسي والطمأنينة ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

(١) منهج القرآن في تربية المجتمع ، مصدر سابق ، (ص ٢٩٥) .

لَيْسَكُنْ إِلَيْهَا ﴿ [الأعراف: ١٨٩] ، وقال ﷺ : ﴿ وَمِنْ عَآيِنَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١] ؛ فإذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة والاطمئنان النفسي المتبادل ، فحينئذ يترتب الناشئ في جو سعيد ، يهيئه الثقة والاطمئنان والعطف والمودة بعيدًا عن القلق ، وعن العقد والأمراض النفسية التي تضعف شخصيته ، وتجعله سهل الاستهواء ، وعندئذ يتعرض للانحراف والضياع .

كما تتحمل الأسرة إشباع الحاجة إلى الحب والحنان والرحمة والعطف على الأبناء ؛ لأن هذا كله من أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسي والاجتماعي نموًا قويًا ، وإذا لم تتحقق المحبة للأطفال بالشكل الكافي المتزن ، نشأ الطفل منحرفًا في مجتمعه ، لا يحسن التألف مع الآخرين ، ولا يستطيع التعاون معهم أو تقديم الخدمات والتضحيات . كما اعتبر الإسلام الأسرة مسؤولة عن فطرة الطفل ، واعتبر كل انحراف يصيبها مصدره الأول الأبوان ، ومن يقوم مقامهما من المربي ، ذلك أن الطفل يولد صافي السيرة سليم الفطرة ، وفي هذا المعنى يقول الرسول ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة : « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ، ثم يقول أبو هريرة ؓ : ﴿ فَطَرَتَ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَلَدَيْتُ أَلْفَيْمُ ﴾ [الروم: ٣٠] .

ولذلك تهتم الخدمة الاجتماعية بالأسرة اهتمامًا كبيرًا ، وتعتبرها المؤثر الأول في انحراف الأحداث ؛ بل في كل المشكلات التي يعاني منها العملاء في علاجها لهم على الأسرة ، وتحاول تدعيمها بشتى الأساليب العلاجية والوقائية والإنمائية ، والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي في عملاء الخدمة الاجتماعية فإنه يكون على صلة وثيقة بأسرهم ، ويكتسب ثقتهم ويكوّن معهم علاقة مهنية قوية قوامها الثقة والحب والمودة ، وينظم معهم زيارات منزلية ليزكروهم بواجبهم نحو تعويد الطفل على تذكر عظمة الله ونعمه ، والاستدلال على توحيده من آثار قدرته ، وتفسير مظاهر الكون من بر وبحر وليل ونهار وزلازل وأعاصير ونحو ذلك تفسيرًا يحقق هذا الغرض .

وذلك يستكمل الأخصائي الاجتماعي علاج انحرافهم وينجح في تقويم سلوكهم ، كما أنه يعد الأسرة لاستقبالهم بعد أن يتم علاجهم بالمؤسسة ، محاولاً استكمال مقومات الأسرة ويكون على صلة دائمة بهم حتى يتابع باستمرار نتيجة الخطة العلاجية وحتى يجعل من الأسرة عنصرًا مهمًا من عناصر تدعيم الخطة العلاجية . وقد يتفق الأخصائي الاجتماعي مع والد العميل على خطة علاجية معينة ؛ مثل اصطحابه معه دائمًا إلى المسجد للصلاة في جماعة ، واصطحابه معه دائمًا في المناسبات الدينية المتعددة شارحًا

له ما يصعب عليه فهمه أو يصطحبه معه إلى محاضرة أو ندوة دينية ، وبذلك يستكمل العلاج الإسلامي للحدث بما تقوم به الأسرة من دورها في الخطة العلاجية وتحتمس إلى تربية أبنائها التربية الإسلامية التي فيها الوقاية والعلاج للسلوك المنحرف ، وفيها طريق الخلاص والهداية لهم .

الخاتمة

إن المنهج الإسلامي هو المنهج المناسب للحياة بما فيه من علاج ووقاية وإنماء بصورة كافية لعلاج كل المشكلات الاجتماعية ؛ ولذلك اتجهت إليه الخدمة الاجتماعية وتحملت لممارسة العلاج الإسلامي وتطبيقه في المؤسسات الاجتماعية لعلها تجد فيه أسلوب العمل المناسب وطريقة العلاج الأمثل بعد أن ضاقت لها السبل وعجزت أساليبها التقليدية من علاج المشكلات الاجتماعية .

والدين ليس علاجاً لتلك المشكلات فحسب ، بل هو العامل الحاسم في تطور المجتمعات ، ونهضة الحضارات على مرّ العصور وهو جوهر التقدم الذي يوحد بين الأجيال ويحقق التكامل بين المجتمعات ، وهو الباعث الأساسي للتغير الاجتماعي .

وفي هذا المعنى يقول « توبسي » : « إن نمو الحضارة للتوقف في حالات الإخفاق ، ويعقب الإخفاق حالة تفكك اجتماعي ، والملاحظ أن خلال فترة تفكك الحضارة ، أن الثقافة لم تعد تنمو ككل ، وإنما بشكل غير منسق وقد تؤدي إلى تطورات في الفن والاقتصاد والدين . والسبيل الوحيد للخلاص في هذه المرحلة هو تغيير الشكل على أساس ديني ، على انتشار اتجاه ديني جديد لن يؤدي إلى اتعاض الحضارة المحتضرة فحسب ، ولكنه قد يمهّد السبيل لظهور أسلوب جديد ناجح من أساليب الحياة » .

وقد وقفنا من قبل رأي « دور كايم » الذي يؤكد أن الدين يمثل ضرورة اجتماعية هي إيجاد التماسك الاجتماعي والحفاظ على المجتمع .

ولذلك اهتم المؤلف بالعلاج الإسلامي ومبادئه الأساسية كأنسب وسيلة علاجية تمارس في المؤسسات الاجتماعية .